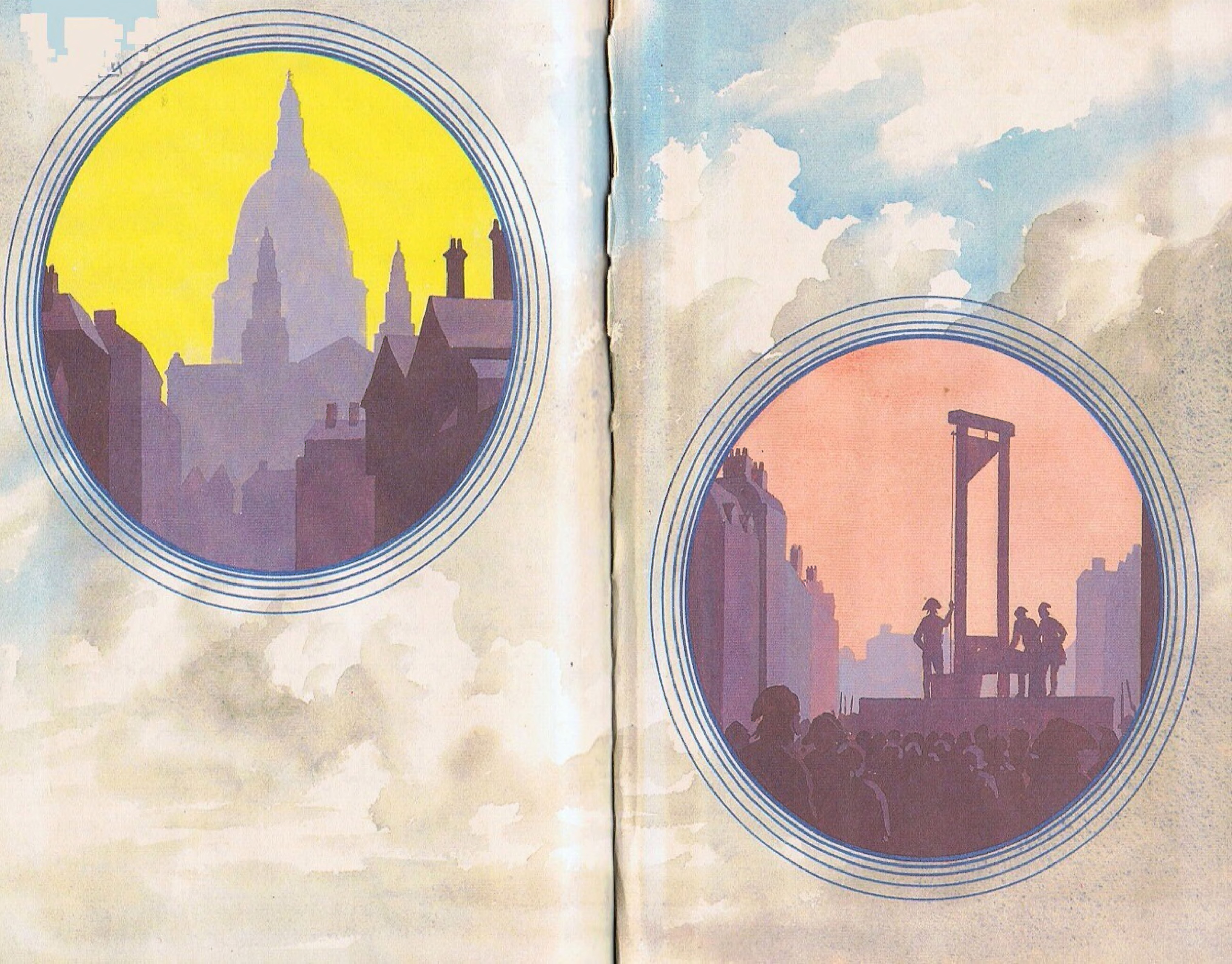


القصص العالمية
عرب كوميكس
ARAB COMICS
www.arabcomics.net
قصة مدينتين
Arabcomics.net



تشارلز ديكنز (١٨١٢ – ١٨٧٠)

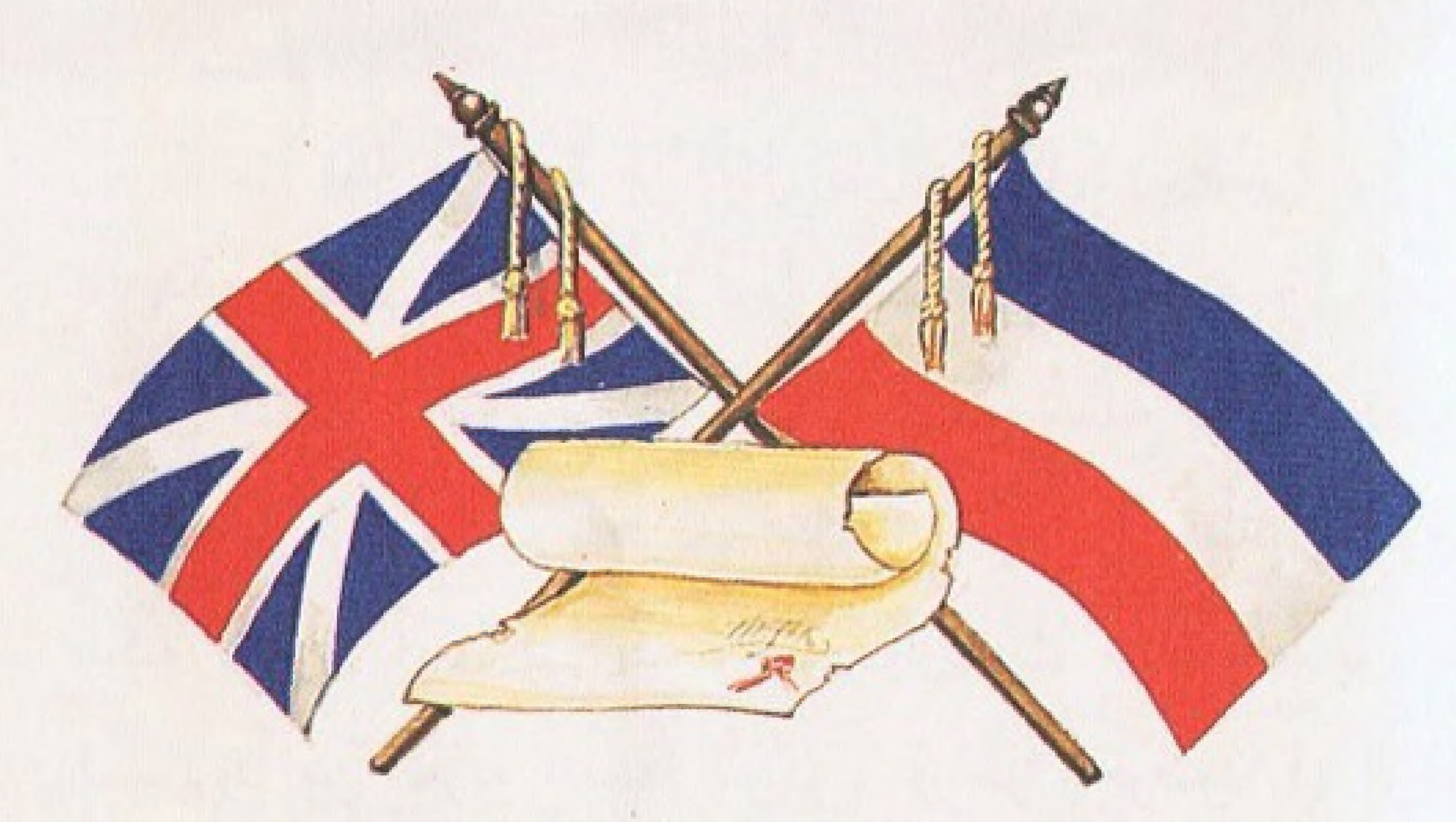
واحِدٌ مِنْ أَشْهَرِ الكُتّابِ الإنْكليزِ. اِكْتَسَبَ شُهْرَةً عالَمِيَّةً ذائِعَةَ الصِّيتِ لِرِواياتِهِ العَديدَةِ الرّائِعَةِ الَّتي تَحَدَّثَ فيها عَنِ الطَّبَقاتِ الفَقيرَةِ التَّعيسَةِ، وعَنِ الظُّلْمِ الَّذي يُصيبُ فِئاتٍ كَثيرَةً مِنَ الشَّعْبِ. في أُسْلوبِ ديكنز يَمْتَزِجُ النَّقْدُ السّاخِرُ اللاّذِعُ بِالمَشاهِدِ المُؤْلِمَةِ الَّتي تَكْشِفُ عَنْ عَذابِ الإنْسانِ في مُجْتَمعٍ غَيْرِ عادِلٍ.

مِنْ أَشْهَرِ رِواياتِهِ: «أولِڤَر تويْسْت» (١٨٣٧ – ١٨٣٨)، «نيكولَس نيكلبي» (١٨٣٨ – ١٩٣٩)، «ديڤِد كوپَرْفيلْد» (١٨٤٩ – ١٨٥٠)، وقِصَّتُنا الَّتي نُقَدِّمُها اليَوْمَ لِلْقارِئِ العَرَبِيِّ: «قِصَّةُ مَدينَتَيْن» الَّتي نُشِرَتْ في العامِ ١٨٥٩.

تَصِفُ «قِصَّةُ مَدينَتَيْن» الصِّراعَ الَّذي يَنْشَبُ في نَفْسِ الإنْسانِ بَيْنَ الحُبِّ والواجِبِ، وتُصَوِّرُ انْتِقالَ السُّلْطَةِ مِنْ فَريقٍ إلى آخَرَ وما يَسْتَتْبِعُ ذٰلِكَ مِنْ تَحَوُّلٍ في الأَفْكارِ وآلامٍ لِلْبَشَرِ. وتَجْري أَحْداثُ القِصَّةِ في إطارٍ تاريخِيٍّ يَتَناوَلُ الفَتْرَةَ الَّتي قامَتْ فيها الثَّورَةُ الفَرَنْسِيَّةُ، وانْعِكاسَ هٰذا الإطارِ عَلى حَياةِ أُسْرَةٍ والأَحْداثِ الَّتي تُواجِهُها في مَدينَتَيْ لَنْدَن وباريس. وتُعْطي الرُّسومُ المُلَوَّنَةُ صورَةً رائِعَةً صادِقَةً عَنْ تِلْكَ المَرْحَلَةِ التّاريخِيَّةِ المُهِمَّةِ في حَياةِ الإنْسان.

سِلْسِلَة «القِصَص العالَمِيَّة»

قِصَّةُ مَدينَتَيْن



أَعَدَّ النَّصَّ العَرَبِيَّ: ن. أ. الزَّيّات
عَنْ قِصَّة: تشارلز ديكِنز
رُسوم: فرانك همفرِس

مَكتَبة لبنان



كانَتْ لَيْلَةً مُكْفَهِرَّةً مِنْ لَيالي تِشْرينَ الثّاني (نوفمبر) مِنْ عام ١٧٧٥. وَكانَتِ الجِيادُ الَّتي تَجُرُّ عَرَبَةَ البَريدِ تُجاهِدُ في صُعودِها إحْدى التِّلالِ. وَفَوْقَ العَرَبَةِ جَلَسَ حارِسٌ مُسَلَّحٌ بِبُنْدُقِيَّةٍ قَصيرَةٍ. كانَ الحارِسُ يُراقِبُ الطَّريقَ جاهِدًا خَوْفًا مِنْ قُطّاعِ الطُّرُقِ، وَلٰكِنَّهُ لا يَرى أَبْعَدَ مِنْ مِتْرٍ واحِدٍ. وَازْدادَتْ مَشَقَّةُ الطَّريقِ فَنَزَلَ المُسافِرونَ مِنَ العَرَبَةِ تَخْفيفًا لِلْوَزْنِ، وَراحوا يُخَوِّضونَ في الوَحَلِ.

فَجْأَةً، بَرَزَ مِنَ الضَّبابِ فارِسٌ جاءَ يَعْدو بِفَرَسِهِ. فَصاحَ الحارِسُ: «قِفْ! وَإلّا أَطْلَقْتُ النّارَ!»

أَجابَ الفارِسُ: «أُريدُ مُسافِرًا في عَرَبَتِكُمْ. أُريدُ السَّيِّدَ جارْڤِس لوري.»



تَقَدَّمَ أَحَدُ المُسافِرينَ وَقالَ بِشَيْءٍ مِنَ القَلَقِ: «ما الأَمْرُ يا جري؟» ثُمَّ الْتَفَتَ إلى الحارِسِ وَقالَ: «لا بَأْسَ، أَنا أَعْرِفُ هٰذا الرَّجُلَ.»

أَنْزَلَ الحارِسُ بُنْدُقِيَّتَهُ، وَأَسْرَعَ المُسافِرونَ يُخْرِجونَ ساعاتِهِمْ وَنُقودَهُمْ مِنْ أَحْذِيَتِهِمْ، بَعْدَ أَنْ كانوا خَبَّأُوها مَذْعورينَ حينَ رَأَوا الفارِسَ مُقْبِلًا عَلَيْهِمْ.

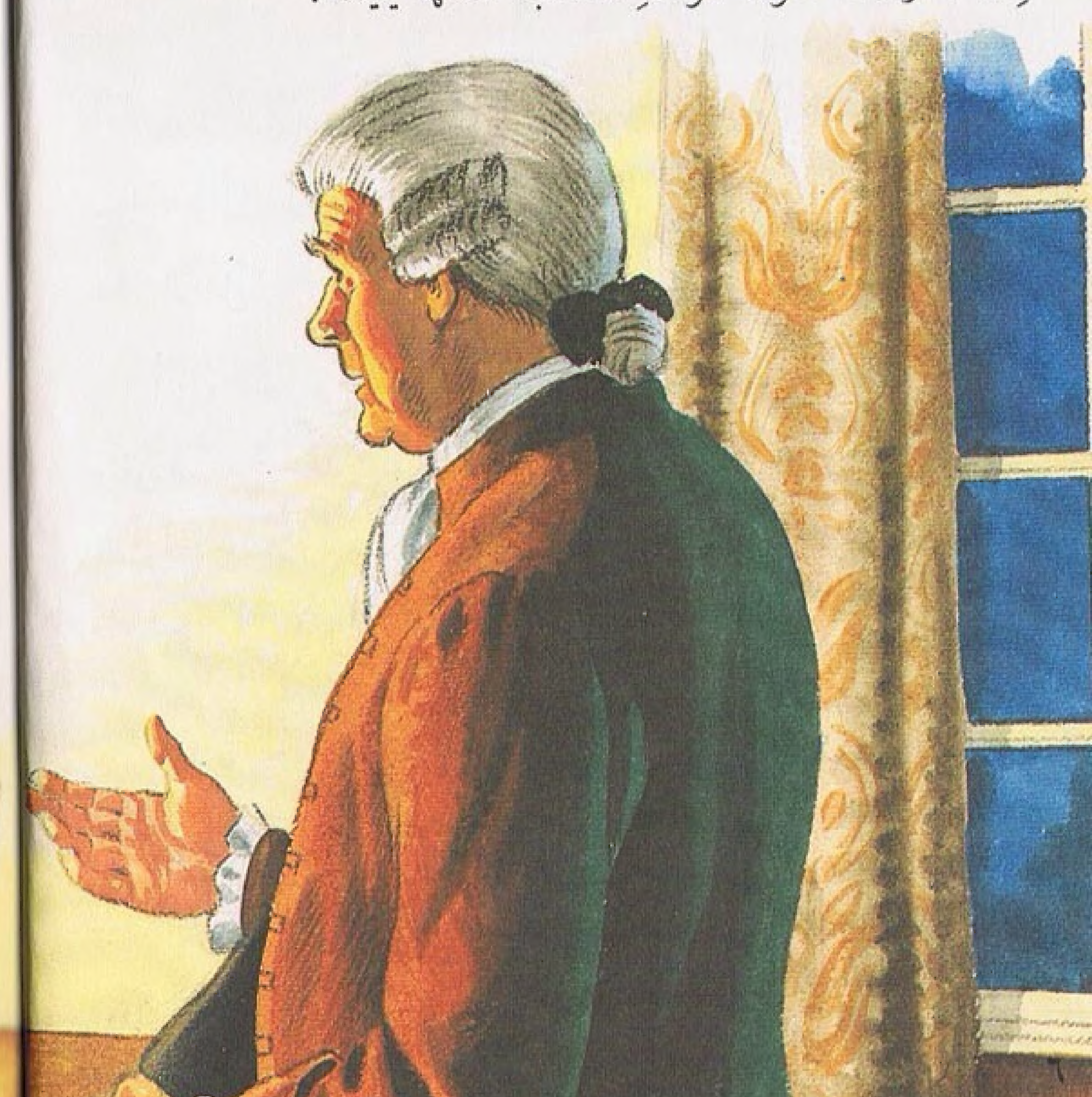
سَلَّمَ جري السَّيِّدَ لوري وَرَقَةً تَقولُ: «اِنْتَظِرِ الآنِسَةَ في دوڤَر.»

وَكانَ جَوابُ السَّيِّدِ لوري عَلَى الرِّسالَةِ غامِضًا، قالَ: «جَوابي هُوَ: أُعيدَ إلَى الحَياةِ.»

أَسْرَعَ جري يَقولُ بِصَوْتٍ أَجَشَّ: «هٰذا جَوابٌ غَريبٌ!» وَقَدْ كانَ فِعْلًا جَوابًا غَريبًا، كَما سَنَرى.

في رَدْهَةِ الفُنْدُقِ الكَئيبَةِ في دوفَر ، وَعَلى ضَوْءِ شَمْعَتَيْنِ طَويلَتَيْنِ ، الْتَقى السَّيِّدُ لوري صَبِيَّةً فاتِنَةً في السّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِها ، ذاتَ شَعْرٍ أَشْقَرَ وَعَيْنَيْنِ حائرَتَيْنِ . تِلْكَ هِيَ الآنِسَةُ الَّتي كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَقِيَها .

تِلْكَ الصَّبِيَّةُ الفاتِنَةُ كانَتْ لوسي مانِت ، ابْنَةَ صَديقٍ فَرَنْسِيٍّ مِنْ أَصْدِقائهِ القُدامى . وَكانَ قَدْ حمَلَها مَعَهُ إِلَى إِنكلترة وَهِيَ بَعْدُ طِفْلَةٌ ، وَظَلَّتْ طَوالَ الوَقْتِ تَحْسَبُ نَفْسَها يَتيمَةً .



كانَ عَلَى السَّيِّدِ لوري أَنْ يُخْبِرَها الآنَ أَنَّ أَباها لا يَزالُ حَيًّا . فَقَدْ زُجَّ بِهِ في سِجْنِ الباسْتيلِ المُريعِ في باريس مُدَّةَ ثَماني عَشْرَةَ سَنَةً ، دونَ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ مَكانَهُ . وَقَدِ اكْتُشِفَ مَكانُهُ أَخيرًا فَأُطْلِقَ سَراحُهُ .

قالَ : «اِكْتُشِفَ مَكانُهُ . لٰكِنَّهُ تَغَيَّرَ كثيرًا . إِنَّهُ حُطامُ رَجُلٍ . سَنَذْهَبُ إِلَيْهِ في باريس ، وَعَلَيْكِ أَنْ تُعيديهِ إِلى الحَياةِ .»

راحَتْ لوسي تَنْظُرُ بِحَيْرَةٍ إِلى ذٰلِكَ الرَّجُلِ الوَقورِ ، في بِزَّتِهِ البُنِّيَّةِ وَشَعْرِهِ المُسْتَعارِ المُرَتَّبِ ، وَتُفَكِّرُ في الخَبَرِ الصّاعِقِ الَّذي أَتاها بِهِ ، وَالَّذي جاءَ صَدْمَةً تَرَكَتْها شاحِبَةً تَرْتَعِشُ .

أَخيرًا قالَتْ بِيَأْسٍ : «لَنْ أَراهُ هُوَ ، بَلْ سَأَرى شَبَحَهُ !»

كانَ علَى السَّيِّدِ لوري أنْ يَذهَبَ إلى باريس في أمْرٍ يَتعلَّقُ بالمَصْرِفِ الَّذي يَملِكُهُ. وَقَدْ تمكَّنَ هُوَ ولوسي مِنَ الوُصولِ إلى أحَدِ الأحْياءِ البائسَةِ الفقيرَةِ، حَيْثُ تَنْتَشِرُ الرَّوائحُ الكَريهَةُ، وَيَجولُ أُناسٌ ذَوو ثِيابٍ مُمزَّقَةٍ وَبُطونٍ جائعَةٍ يَترَصَّدونَ طَعامًا يَأْكُلونَهُ. حتّى الحَوانيت كادَتْ أنْ تكونَ خالِيَةً مِنَ الطَّعامِ.

وَفيما كانا يَعْبُرانِ شارِعًا مَرْصوفًا بالحِجارَةِ، وَقَعَ برْميلُ شَرابٍ مِنْ عَرَبَةٍ فانْكَسَرَ. وَانْقَضَّ النّاسُ حالًا علَى الشَّرابِ المُنْسكِبِ علَى الأَرْضِ المُوحِلَةِ، يَرْفَعونَ مِنْهُ بِما تيَسَّرَ لَهُمْ مِن آنِيَةٍ أَوْ حتّى بأَيْديهِمْ. وَكانَ أنْ لَطَّخَ الشَّرابُ أفْواهَهُمْ باللَّوْنِ الأَحْمَرِ فَبَدا مَنْظَرُهُمْ مُرْعِبًا. تَقَدَّمَ رَجُلٌ طَويلٌ مِنهُمْ يَعْتَمِرُ طاقيَّةَ نَوْمٍ، وَكَتَبَ علَى جِدارٍ بإصْبَعِهِ المُلَوَّثِ بالشَّرابِ كَلِمَةَ: الدَّم! كانَتْ تِلْكَ مِنْطَقَةَ غَلَيانٍ تُنْذِرُ بِاندِلاعِ أَحْداثٍ خَطيرَةٍ.

وَصَلَ السَّيِّدُ لوري وَلوسي إلى حانوتٍ يَمْلِكُهُ رَجُلٌ مَتينُ البِنْيَةِ قَوِيُّ المَلامِحِ اسْمُهُ السَّيِّدُ دوفارْج. وَكانَتِ السَّيِّدَةُ دوفارْج جالِسَةً في مَدْخَلِ الحانوتِ تَغْزِلُ صوفًا، دونَ أَنْ يَمْنَعَها شَيْءٌ مِن مُراقَبَةِ كُلِّ ما يَحْدُثُ حوْلَها بِعَيْنَيْنِ صَغيرَتَيْنِ ثاقِبَتَيْنِ.

قالَ أَحَدُ زَبائنِ الحانوتِ: «لا يَذوقُ هؤلاءِ التّاعِسونَ، عادَةً، شَرابًا وَلا غَيْرَهُ يا جاك، إلّا الخُبْزَ الأَسْوَدَ والمَوتَ.»

فَرَدَّ آخَرُ: «الحَقُّ مَعَكَ، يا جاك.»

رَأَتْ لوسي أنَّ اتِّخاذَ الرَّجُلَيْنِ اسْمًا واحِدًا أمْرٌ لافِتٌ لِلنَّظَرِ. وَبَدا لَها كَأَنَّ في الأَمْرِ كَلِمَةَ سِرٍّ. وارْتَسَمَ الغَضَبُ في وَجْهِ السَّيِّدِ دوفارْج، وَنَطَقَتْ مَلامِحُهُ بِالعُنْفِ وَالشَّراسَةِ.





حين عَرَفَ السَّيِّدُ دوفارج أَنَّ الصَّبِيَّةَ ابْنَةُ سَيِّدِهِ القَديمِ أَخَذَها إلى مَخْبَإٍ سِرِّيٍّ يَقَعُ فَوْقَ الحانوتِ.

هُناكَ، في عُلِّيَّةٍ صَغيرَةٍ خافِتَةِ الضَّوْءِ، رَأَتْ لوسي شَيْخًا أَبْيَضَ الشَّعْرِ بالِيَ الثِّيابِ مُنْهَمِكًا في تَصْليحِ بَعْضِ الأَحْذِيَةِ. لَمْ تَكُنْ عَيْنا الشَّيْخِ الكَليلَتانِ تَتَحمّلانِ ضَوْءًا أَقْوى مِنْ ذٰلِكَ الضَّوْءِ.

سَأَلَهُ السَّيِّدُ دوفارْج عَنِ اسْمِهِ فَقالَ بِصَوْتٍ واهِنٍ مُضْطَرِبٍ، وَكَأَنَّما لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ مُنْذُ زَمَنٍ: «مِئَةٌ وَخَمْسَةٌ، البُرْجُ الشَّمالِيُّ.» لَقَدْ كان ذٰلِكَ رَقْمَ زِنْزانَتِهِ.

ثُمَّ بَدَأَ الشَّيْخُ، بَعْدَ بَعْضِ الوَقْتِ، يَنْظُرُ في وَجْهِ لوسي وَشَعْرِها الذَّهَبِيِّ، وَكَأَنَّما ذٰلِكَ يُذَكِّرُهُ بِإِنْسانٍ يَعْرِفُهُ.

«أَنْتِ ابْنَةُ السَّجّانِ؟»

«لا».

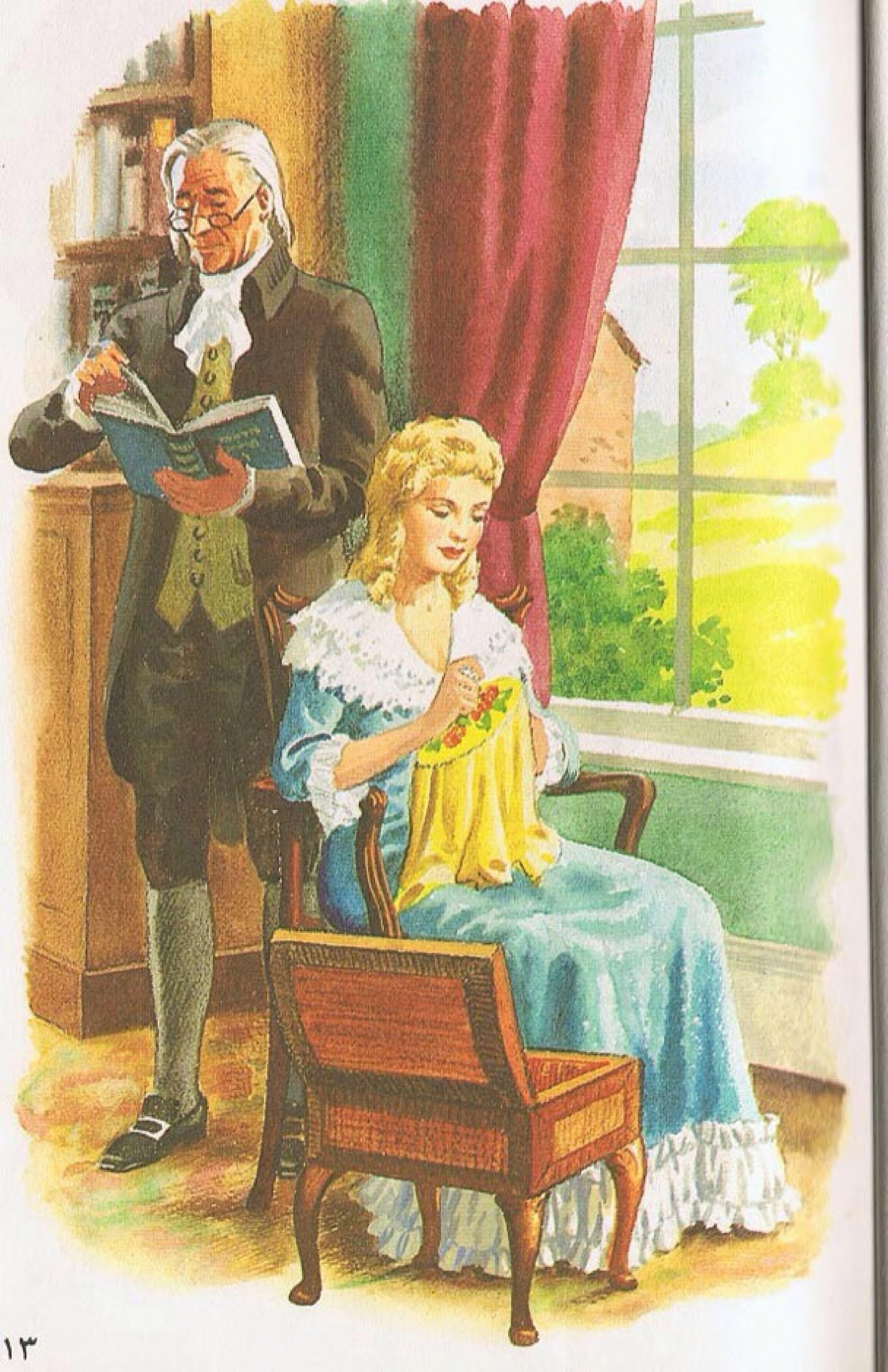
«مَنْ أَنْتِ؟»

ثُمَّ تَناوَلَ خِرْقَةً وَسِخَةً مُعَلَّقَةً حَوْلَ عُنُقِهِ بِخَيْطٍ، وَفَتَحَها فإذا بها بِضْعُ شَعَراتٍ ذَهَبِيَّةٍ. اِغْرَوْرَقَتْ عَيْناهُ بالدُّموعِ، فَقَدْ كانَتْ هٰذِهِ الشَّعَراتُ أَثَرًا مِنْ زَوجَتِهِ. وَتَذَكَّرَ السَّيِّدُ لوري أَنَّ بَيْنَ الأُمِّ ولوسي شَبَهًا قَوِيًّا.



اِقْتَرَبَت لوسي مِنَ الشَّيْخِ وَمَدَّتْ يَدَها إِلَيْهِ بِرِفْقٍ وَقالَتْ: «جِئْتُ لِآخُذَكَ إلى البَيْتِ، يا أَبي، وَلِأَعْتَنِيَ بِكَ.»

في تِلْكَ اللَّيْلَةِ قامَ السَّيِّدُ دوفارج وَرِفاقُهُ بِتَهْريبِ الشَّيْخِ وَابْنَتِهِ وَالسَّيِّدِ لوري إلى خارِجِ باريس مُتَجاوِزينَ نِقاطَ الحِراسَةِ. وَراحَ السَّيِّدُ لوري، أَثْناءَ انْطِلاقِ العَرَبَةِ في الظَّلامِ، يَتَساءلُ ما إذا كانَ الدُّكْتورُ مانِت سَيَسْتَعيدُ ذاكِرَتَهُ وَالحَياةَ السَّعيدَةَ.



بَعْدَ خَمْسِ سَنواتٍ

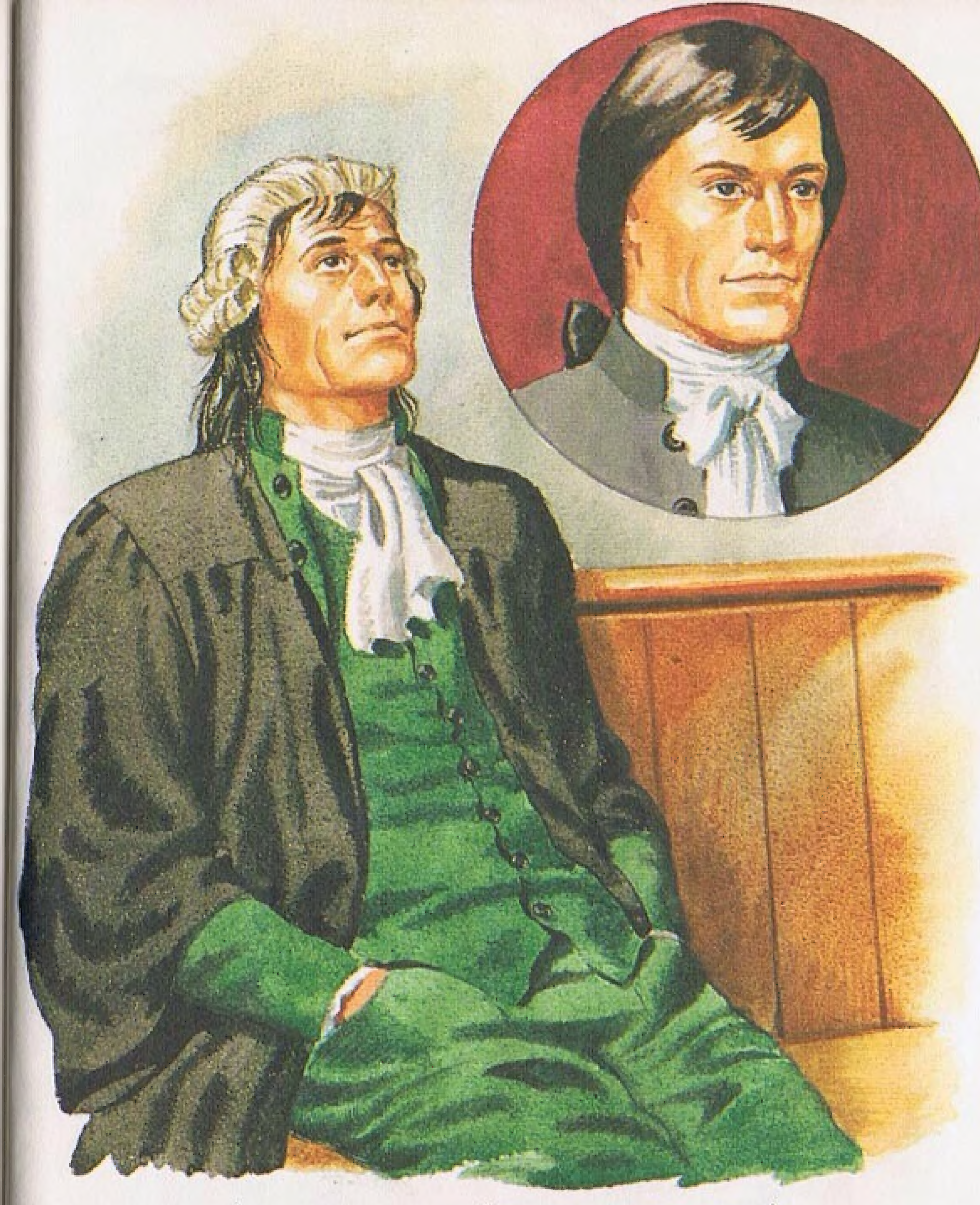
في العامِ ١٧٨٠ كانَتْ قَدْ مَرَّتْ خَمْسُ سَنواتٍ على تِلْكَ الحادِثَةِ. وَكانَتْ لوسي وَوالِدُها يَعيشانِ في أَطْرافِ مَدينَةِ لَنْدَن في مَكانٍ هادِئٍ يُشْرِفُ عَلى الرِّيفِ السّاحِرِ النّاضِرِ.

وَكانَ والِدُ لوسي قَدْ عادَ إلى مُمارَسَةِ مِهْنَةِ الطِّبِّ ، وَحَظِيَ بِاحْتِرامٍ عَميقٍ مِنَ النّاسِ. لٰكِنَّهُ كانَ لا يَزالُ يَحْتَفِظُ بِعُدَّةِ الإِسْكافِيِّ في غُرْفَةٍ عُلْوِيَّةٍ. وَقَدْ يَحْدُثُ في بَعْضِ اللَّيالي أَنْ تَعودَ إِلَيْهِ هَواجِسُ أَيّامِ السِّجْنِ ، فَيَنْفَرِدَ في عُلِّيَّتِهِ ، وَيَظَلَّ طَوالَ اللَّيْلِ مُنْهَمِكًا في تَصْليحِ الأَحْذِيَةِ. وَكانَ القَلَقُ يَسْتَبِدُّ بِلوسي حينَ تَرى أَباها عَلى تِلْكَ الحالِ.

كانَتْ مُدَبِّرَةُ المَنْزِلِ ، الآنِسَةُ بْرُس ، امْرَأَةً صارِمَةً ، ذاتَ شَعْرٍ أَحْمَرَ وَوَجْهٍ أَحْمَرَ. وَقَدْ أَخَذَتْ عَلى عاتِقِها أَنْ تَحْرُسَ الدُّكْتورَ مانِت وَابْنَتَهُ الفَراشَةَ – كَما كانَتْ تُسَمِّي لوسي – مِنْ سائِرِ المُتَطَفِّلينَ ، وَبِخاصَّةٍ أُولٰئِكَ الشُّبّانِ الَّذينَ يَحومونَ حَوْلَ الصَّبِيَّةِ ، مُنْجَذِبينَ بِجَمالِها وَرِقَّةِ مَعْشَرِها.

❀ ❀ ❀

كانَ جِري كْرانْشَر ، خادِمُ السَّيِّدِ لوري ، يَقومُ بِمُهِمَّةٍ جَديدَةٍ لِسَيِّدِهِ. كانَ عَلَيْهِ هٰذِهِ المَرَّةَ أَنْ يَنْتَقِلَ إلى أُولد بيلي ، حَيْثُ يَقومُ السَّيِّدُ لوري بِأَداءِ الشَّهادَةِ في إِحْدى المُحاكَماتِ.



كانَتْ أُولد بيلي المَحْكَمَةَ الَّتي يُقَدَّمُ إِلَيْها المُتَّهمونَ بِالخِيانَةِ أَوِ القَتْلِ ، لِذا كانَتْ عادَةً تَغُصُّ بِالحُضورِ .

سَأَلَ جري الرَّجُلَ الَّذي يَجْلِسُ إِلى جِوارِهِ بِصَوْتٍ أَجَشَّ قائلًا : «ما الخَبَرُ؟»

أَجابَ الرَّجُلُ : «لَمْ تَبْدَإِ الجَلْسَةُ بَعْدُ .»

قال جري : «مَنْ يُحاكِمونَ ؟»

أَجابَ الرَّجُلُ : «يُحاكِمونَ جاسوسًا فَرَنْسِيًّا .»

قالَ جري : «لا بدّ أنّهم سيقطّعونه ، إذًا .»

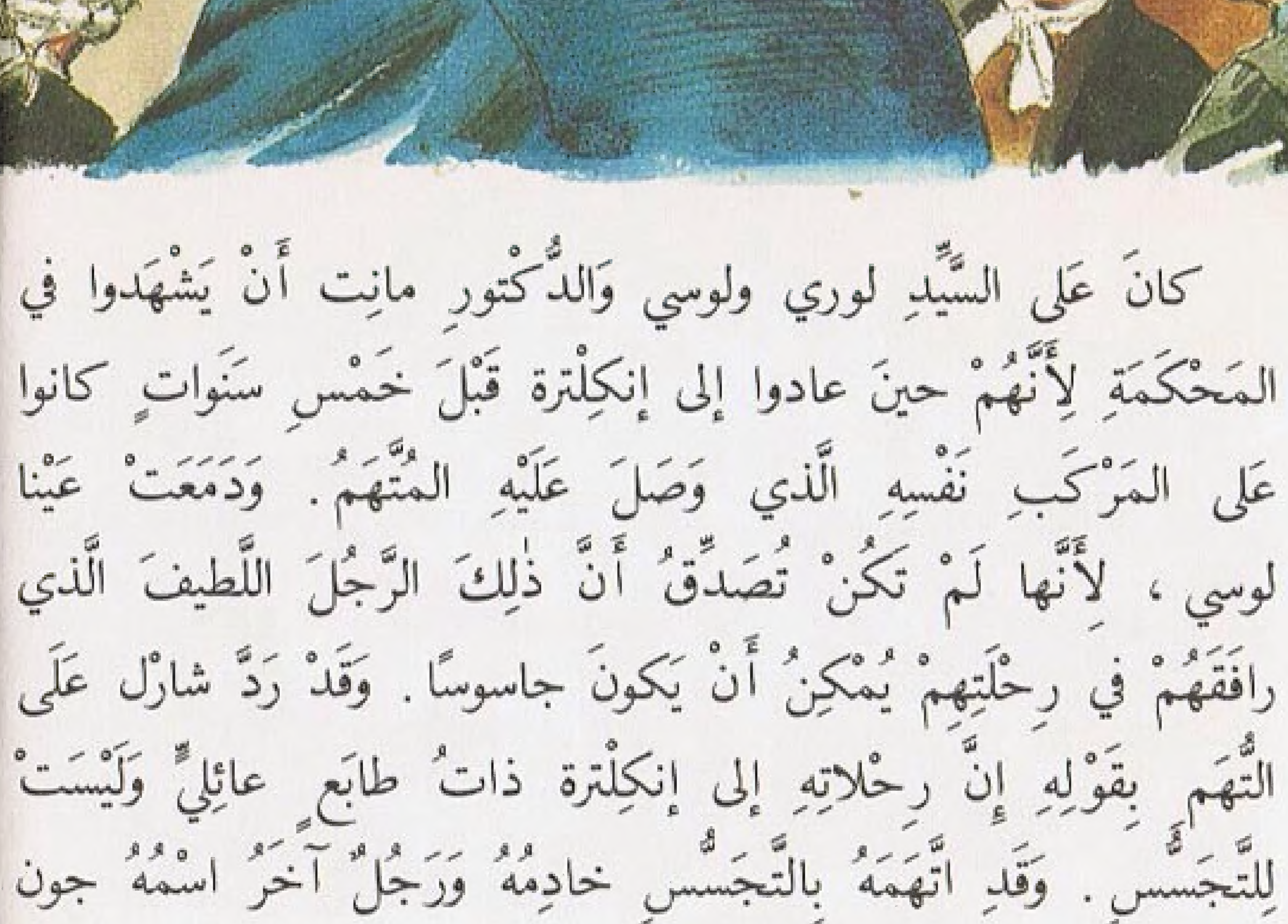
رَدَّ الرَّجُلُ بِغِبْطَةٍ : «سَوْفَ يُجَرْجِرونَهُ ، ثُمَّ يَقْطَعونَ رَأْسَهُ ثُمَّ يُقَطِّعونَهُ إلى أَرْبَعَةِ أَرْباعٍ . هكَذا سَيَكونُ الحُكْمُ .»

قالَ جري : «هٰذا إذا وُجِدَ مُذْنِبًا .»

أَجابَ الرَّجُلُ : «لا تَقْلَقْ ، سَيَجِدونَهُ مُذْنِبًا !»

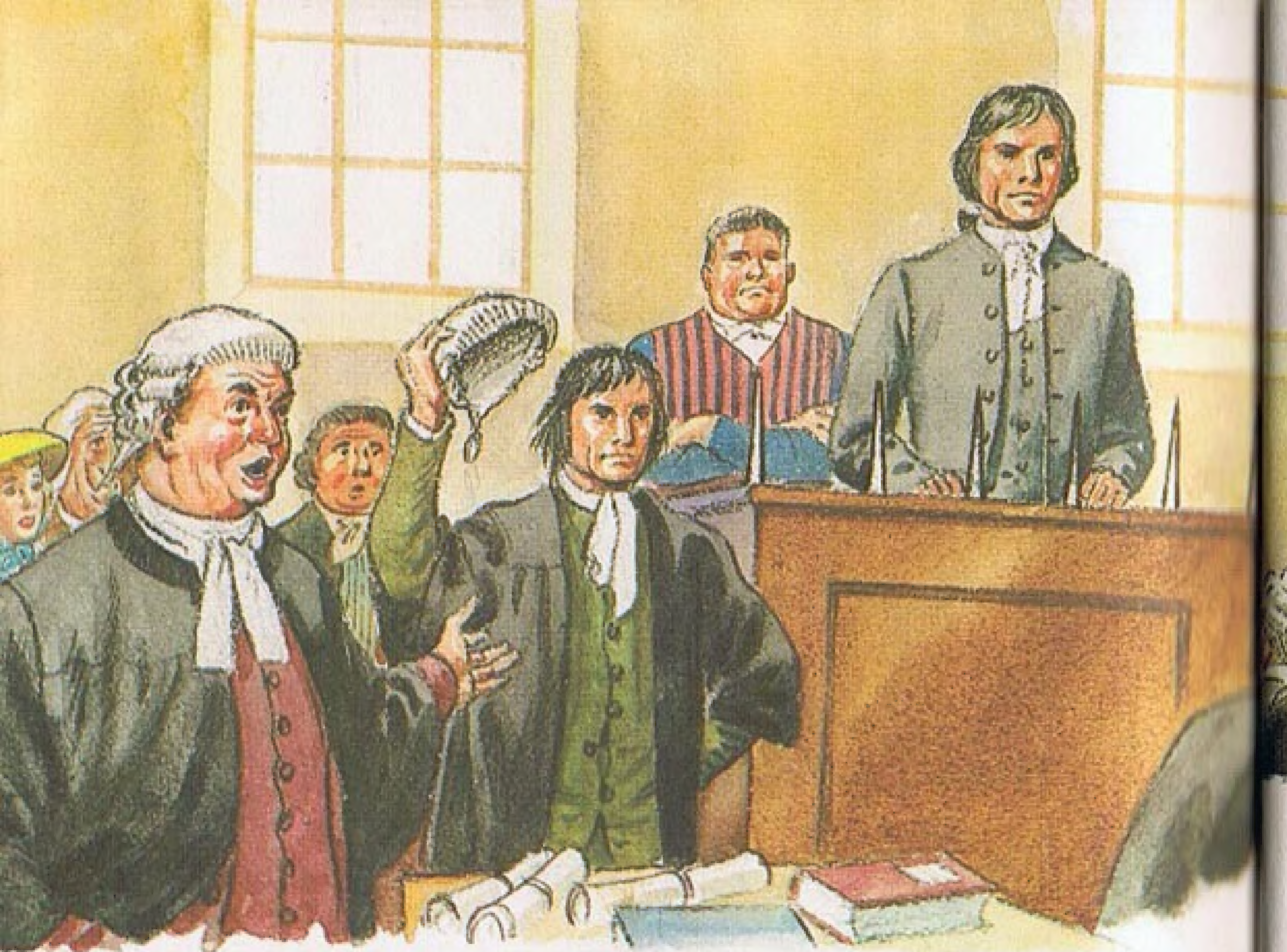
أَمَّا المُتَّهَمُ خَلْفَ القُضْبانِ ، وَاسْمُهُ شارْل دارْني ، فكانَ فَرَنْسِيًّا طَويلَ القامَةِ ، يَقِفُ وِقْفَةَ جَلالٍ وَوَقارٍ . كانَ ذا شَعْرٍ أَسْوَدَ طَويلٍ ، مَرْبوطٍ خَلْفَ ظَهْرِهِ بِشَريطٍ ، وَذا ثِيابٍ رَمادِيَّةٍ بَسيطَةٍ . وَكانَ وَسيمًا ، أَسْمَرَ ، داكِنَ العَيْنَيْنِ . وَقَدِ اتُّهِمَ بِأَنَّهُ يَتَجَسَّسُ لِصالِحِ المَلِكِ الفَرَنْسِيِّ .

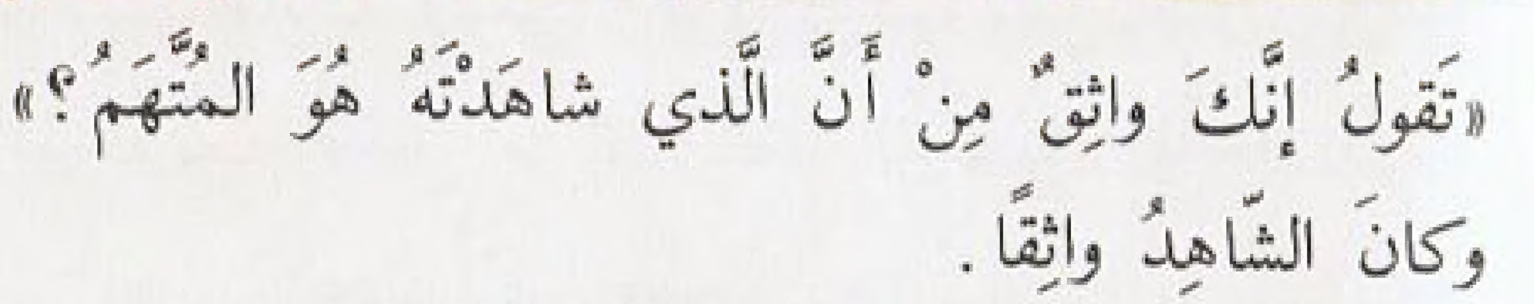
وَكان يَجْلِسُ في مَقْعَدِ المُحامينَ رَجُلٌ ذو شَعْرٍ مُسْتَعارٍ مُهْمَلٍ وَرِداءٍ مَشْقوقٍ ، وَقَدِ اسْتَرخى في جِلْسَتِهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ في جَيْبَيْهِ ، وَراحَ يُحَدِّقُ في ذُبابَةٍ عالِقَةٍ في السَّقْفِ . كانَ ذا نَظْرَةٍ لامُبالِيَةٍ وَكَأَنَّهُ لا يَحْفِلُ بِأَحَدٍ حَتّى وَلا بِنَفْسِهِ . لٰكِنَّ اللّافِتَ لِلنَّظَرِ أَنَّ ذٰلِكَ الرَّجُلَ ، وَاسْمُهُ سِدْني كارْتُن ، كانَ ذا شَبَهٍ غَريبٍ بِالمُتَّهَمِ .



كانَ عَلى السَّيِّدِ لوري ولوسي وَالدُّكْتورِ مانِت أَنْ يَشْهَدوا في المَحْكَمَةِ لِأَنَّهُمْ حينَ عادوا إلى إنكِلْترة قَبْلَ خَمْسِ سَنَواتٍ كانوا عَلى المَرْكَبِ نَفْسِهِ الَّذي وَصَلَ عَلَيْهِ المُتَّهَمُ. وَدَمَعَتْ عَيْنا لوسي ، لِأَنَّها لَمْ تَكُنْ تُصَدِّقُ أَنَّ ذٰلِكَ الرَّجُلَ اللَّطيفَ الَّذي رافَقَهُمْ في رِحْلَتِهِمْ يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ جاسوسًا. وَقَدْ رَدَّ شارْل عَلى التُّهَمِ بِقَوْلِهِ إِنَّ رِحْلاتِهِ إلى إنكِلْترة ذاتُ طابَعٍ عائِلِيٍّ وَلَيْسَتْ لِلتَّجَسُّسِ. وَقَدِ اتَّهَمَهُ بِالتَّجَسُّسِ خادِمُهُ وَرَجُلٌ آخَرُ اسْمُهُ جون بارْساد.

كانَ مُحامي شارْل يَسْتَجْوِبُ أَحَدَ الشُّهودِ حينَ رَمى إِلَيْهِ سِدْني كارْتُن ، فَجْأَةً ، بِلُفافَةِ وَرَقٍ. قَرَأَ المُحامي الوَرَقَةَ ، ثُمَّ تابَعَ اسْتِجْوابَهُ قائِلًا :





«تَقولُ إِنَّكَ واثِقٌ مِنْ أَنَّ الَّذي شاهَدْتَهُ هُوَ المُتَّهَمُ؟»

وكانَ الشّاهِدُ واثِقًا.

«هَلْ رَأَيْتَ مِنْ قَبْلُ رَجُلًا يُشْبِهُ المُتَّهَمَ؟»

«لَمْ أَرَ فِيمَنْ قابَلْتُ شَبَهًا يَمْنَعُني مِنَ التَّمْييزِ.»

أَشارَ المُحامي إلى سِدْني كارْتُنْ ، وَقالَ : «أُنْظُرْ مَلِيًّا إلى صَديقي هُناكَ ، أَلا تَرى شَبَهًا قَوِيًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ المُتَّهَمِ؟» وَكانَ سِدْني في ذٰلِكَ الوَقْتِ قَدْ قَفَزَ مِنْ مَقْعَدِهِ وَرَفَعَ شَعْرَهُ المُسْتَعارَ بِانْحِناءَةٍ.

لَمْ يَكُنْ أَمامَ الشّاهِدِ غَيْرُ أَنْ يَسْتَسْلِمَ وَيَسْحَبَ شَهادَتَهُ. فَبُرِّئَتْ ساحَةُ شارْل دارْني.



مُنْذُ ذٰلِكَ اليَوْمِ أَخَذَ شارْل دارْني وسِدْني كارْتُن يَتردّدانِ عَلى بَيْتِ الدُّكْتورِ مانِت ولوسي زائرَيْن. لَمْ يَكُنْ شارْل يَرْغَبُ في العَوْدَةِ إلى فَرَنْسَة فَعَمِلَ مُدَرِّسًا لِلُّغَةِ الفَرَنْسِيّةِ. وَأَخَذَ يَتودّدُ إلى لوسي الَّتي كانَتْ هِيَ أَيْضًا مُعْجَبَةً بِهِ.

وَلَمْ تكُنِ الآنِسَةُ بْرُس راضِيَةً عَنْ شارْل ، وَكَثيرًا ما كانَتْ تُتَمْتِمُ قائلةً : «لا أُريد أَنْ أَرى عَشَراتِ الشُّبّانِ الفاشِلينَ يأْتون إلى هُنا وَ يَدورونَ حَوْلَ الفَراشَةِ.»

وَكانَ تَصَرُّفُ الدُّكْتورِ مانِت غَريبًا. فَقَدْ كانَ يُحِبُّ شارْل وَيَحْتَرِمُهُ ، وَلٰكِنَّ شَيْئًا أَقْلَقَهُ وَأَدْخَلَ في قَلْبِهِ الرَّوْعَ. فكانَتْ تَعودُ إليه هَواجِسُهُ وَيَلْجأُ إلى عُلِّيَّتِهِ ، وَيَسْهَرُ اللَّيْلَ يُصْلِحُ الأَحْذِيَةَ. وَتِلْكَ عَلامَةٌ عَلى أَنَّ في الأَمْرِ سوءًا.

سِدْني كارْتُن كانَ يُحِبُّ لوسي أَيْضًا لكِنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَمْلِكُ ما يُقَدِّمُهُ لَها. فَكادَ أَنْ يُبْغِضَ شارْل دارْني لِهٰذا الشَّبَهِ بَيْنَهُما ، وَلِأَنَّهُ لَوْلاهُ لَرُبَّما كانَ فازَ بِقَلْبِ لوسي.

بَدأَ سِدْني حَياتَهُ مُحامِيًا نابِهًا ، لكِنَّهُ سُرْعانَ ما أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَأَهْمَلَ عَمَلَهُ ، فَساءَ حالُهُ. وَحينَ وَقَعَ في حُبِّ لوسي ، شَعَرَ بِنَدَمٍ عَميقٍ عَلى إهْدارِهِ عَمَلَهُ وَمُسْتَقْبَلَهُ.

وَالْتَقاها ذاتَ يَوْمٍ ، وَكانَ قَدْ أَدْرَكَ أَنَّها سَتَقْتَرِنُ بِشارْل ، وَباحَ لَها بِحُبِّهِ. وَكانَتْ لوسي مُعْجَبَةً بِشَهامتِهِ فَرجَتْهُ أَنْ يُقْلِعَ عَنْ إهْمالِ نَفْسِهِ ، وَوَعَدَتْ بِأَنْ تَعْتَبِرَهُ دائمًا أَخًا وَصَديقًا.

نَظَرَ إلَيْها نَظْرَةً جادّةً حَزينةً وَقالَ : «تَذَكَّري دائمًا بِأَنَّ هُناكَ رَجُلًا مُسْتَعِدًّا أَنْ يُقَدِّمَ حَياتَهُ في سَبيلِ إنْقاذِ مَنْ تُحِبّينَ.» لَمْ تَفْهَمْ لوسي في ذٰلِكَ الوَقْتِ مَعْنًى لِعِبارَتِهِ تِلْكَ.



الزَّبائنُ يَلْعَبونَ الوَرَقَ. وَجاءَ مِنَ الرِّيفِ رَجلٌ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ قاتِلَ المَرْكيزِ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ القَبْضُ وَأُعْدِمَ شَنْقًا.

وَكانَتِ السَّيِّدَةُ دوفارْج تَحْتَفِظُ بِسِجِلٍّ عِنْدَها لِأَمْثالِ هٰذِهِ الأَحْداثِ. فَإِنَّها كانَتْ تَحوكُ أَسْماءَ المَسْؤُولينَ عَنِ الشُّرورِ عِنْدَها حِياكَةً دَقيقَةً. وَدَخَلَ الحانوتَ، يَوْمًا، جاسوسٌ لِلإِنْكليزِ هُوَ جون بارْساد، الَّذي كانَ قَدْ شَهِدَ في جَلْسَةِ مَحْكَمَةِ أولْد بيلي، وَسَأَلَ السَّيِّدَةَ عَنْ حِياكَتِها قائلًا:

«تَحوكينَ بِبَراعَةٍ، يا سَيِّدَتي.»

«مارَسْتُ ذٰلِكَ طَويلًا.»

«هَلْ لي أَنْ أَسْأَلَ لِمَ تَحوكينَ؟»

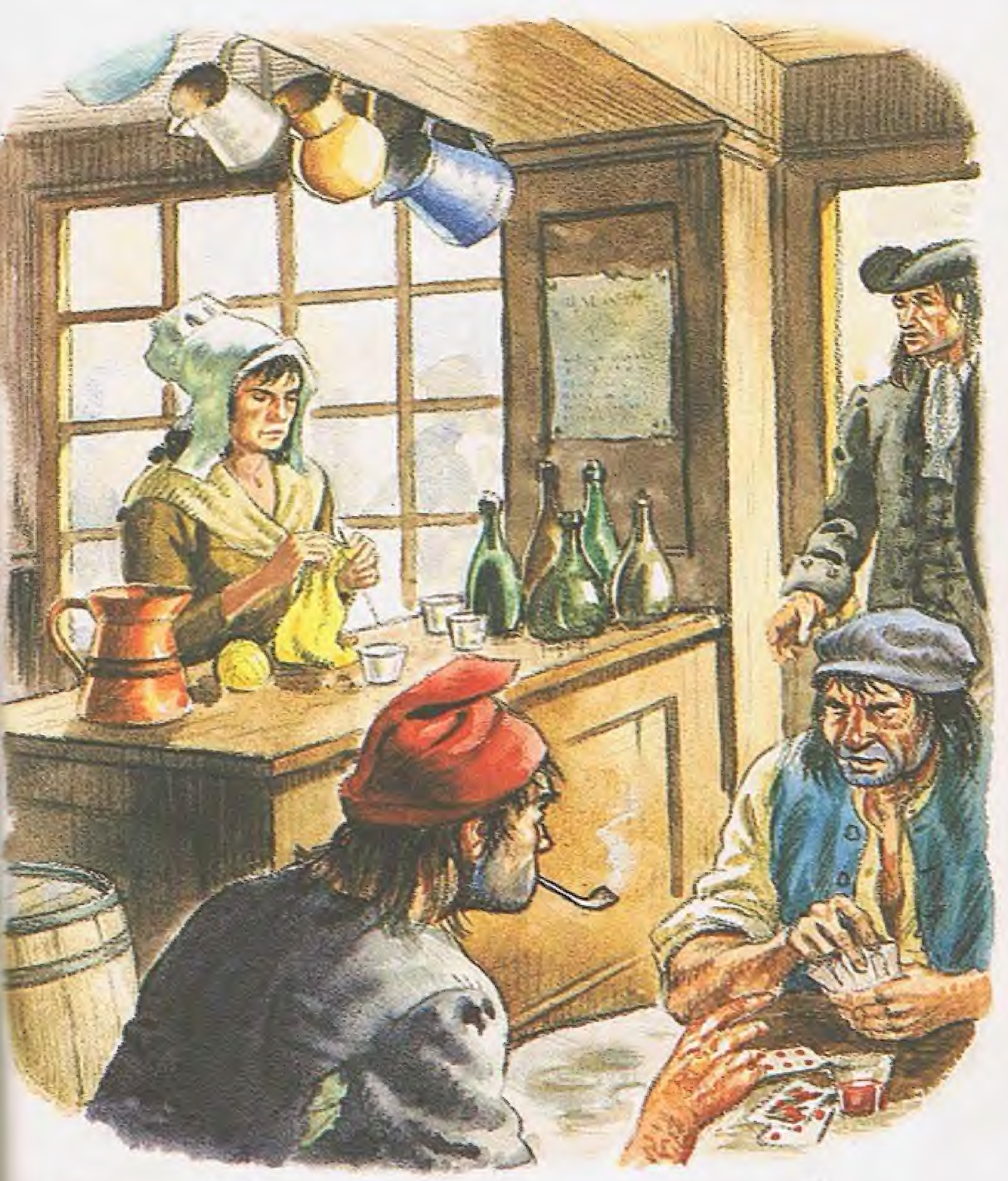
«أَقْطَعُ الوَقْتَ.» وَراحَتْ أَنامِلُها تَتَحَرَّكُ بِرَشاقَةٍ.

«أَلا تَنْوينَ الإِفادَةَ مِنْ حِياكَتِكِ؟»

تَجَهَّمَ وَجْهُ السَّيِّدَةِ، وَقالَتْ: «قَدْ أُفيدُ مِنْها يَوْمًا.»

وَصَلَ السَّيِّدُ دوفارْج فَتَلَقَّاهُ جون بارْساد وَحَدَّثَهُ عَنْ لوسي، ابْنَةِ الدُّكْتورِ مانِت، وَأَنَّها سَتَتَزَوَّجُ شارْل دارْني، ابْنَ أَخي المَرْكيزِ القَتيلِ أفْرِيموند.

راحَتْ أَصابِعُ السَّيِّدَةِ دوفارْج تَعْمَلُ بِسُرْعَةٍ حينَ سَمِعَتِ النَّبَأَ، وَحاكَتِ اسْمَ شارْل دارْني. ثُمَّ لَفَّتْ صوفَها وَوَضَعَتْهُ بِعِنايَةٍ جانِبًا.

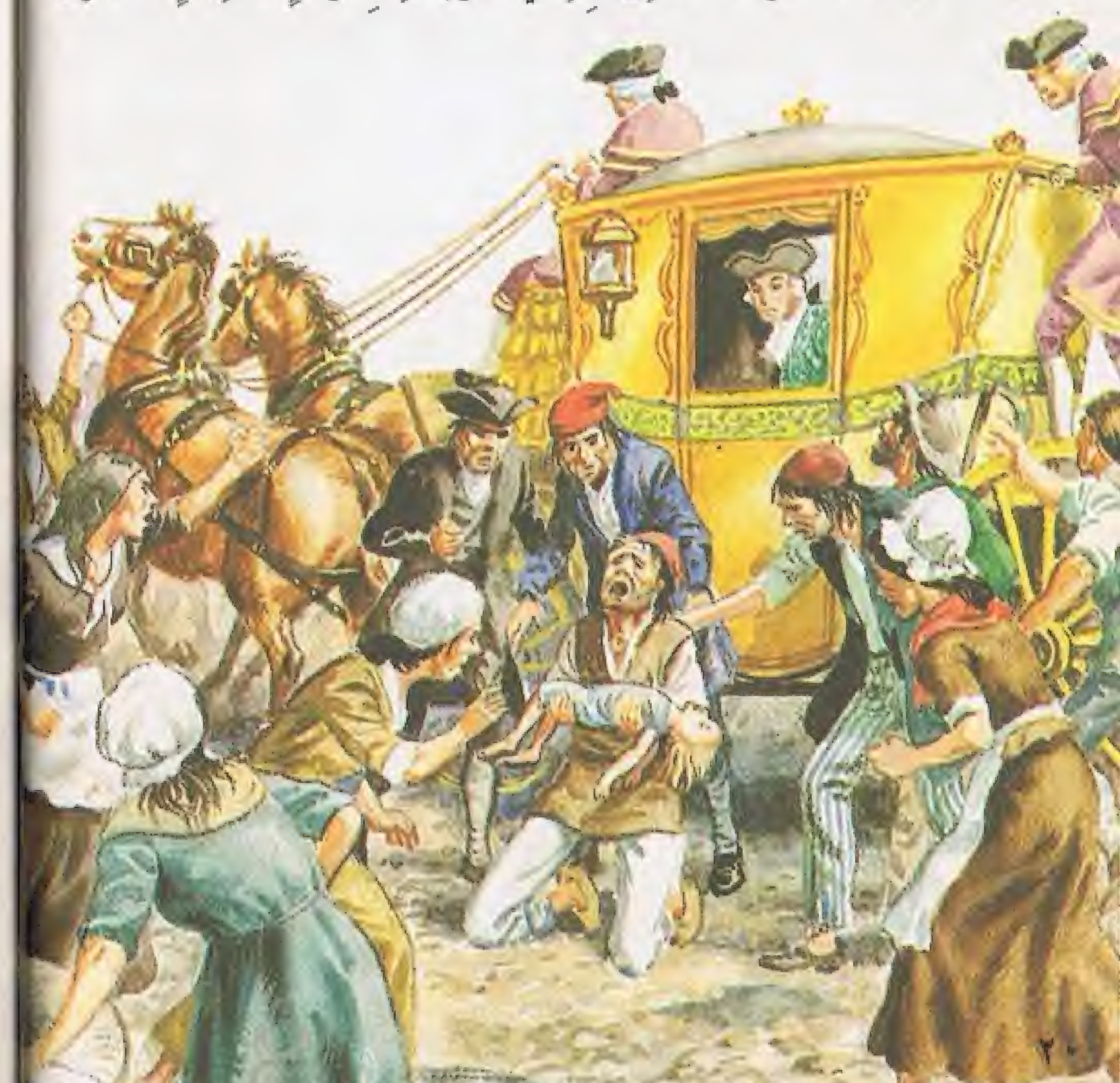


وفي أَحَدِ حَوانيتِ باريس جَلَسَتِ السَّيِّدَةُ دوفارْج ، كَعادَتِها ، تَغْزِلُ الصُّوفَ خَلْفَ طاوِلَةِ المَدْخَلِ ، بَيْنَما راحَ

العاصِفَةُ في فَرَنْسَة تَتَجَمَّعُ

لَمْ يَكُنِ النُّبَلاءُ في فَرَنْسَة يُصَدِّقونَ أَنَّ العَوامَّ الفُقَراءَ يُمْكِنُ أَنْ يَثوروا عَلَيْهِمْ. فكانوا يعامِلونَ الفَلّاحينَ وَكَأَنَّ هؤُلاءِ لا مَشاعِرَ إِنْسانِيَّةً لَهُمْ.

كانَ أَسْوَأَ أُولئكَ النُّبَلاءِ الشَّرِسينَ رَجُلٌ اسْمُهُ المَرْكيزُ أَفْريمونْد. كانَ ذا وَجْهٍ شاحِبٍ يَقْطُرُ تَعالِيًا، وَذا ثِيابٍ فاخِرَةٍ أَبَدًا. وَكانَتْ عَرَبَتُهُ تَنْطَلِقُ بِهِ في الرِّيفِ بِسُرْعَةٍ مُخيفَةٍ، فَتَرى



النّاسَ يَتَراكَضونَ مِنْ أَمامِهِ مَذْعورينَ.

وَذاتَ يَوْمٍ، صَدَمَتْ عَرَبَتُهُ طِفْلَةً، وَراحَتْ تَجُرُّها عَلى الطَّريقِ. فَتَصَدّى لِلْعَرَبَةِ فَريقٌ غاضِبٌ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ.

أَطَلَّ المَرْكيزُ، وَسَأَلَ بِبُرودَةٍ: «ما الأَمْرُ؟» وَرَأَى رَجُلًا طَويلًا، وَقَدِ ارْتَمى عَلى الوَحَلِ، يَتَناوَلُ الطِّفْلَةَ المَيِّتَةَ وَيَجْأَرُ كَما يَجْأَرُ حَيَوانٌ بَرِّيٌّ جَريحٌ.

قالَ المَرْكيزُ باشْمِئْزازٍ: «لِمَ يَصْرُخُ هٰذا الصُّراخَ الكَريهَ؟ هَلِ الطِّفْلَةُ ابْنَتُهُ؟ عَلَيْكُم أَيُّها النّاسُ أَنْ تَتَعَلَّموا كَيْفَ تُحافِظونَ عَلى أَنْفُسِكُمْ وَعَلى أَوْلادِكُمْ. لا أَراكُمْ إِلّا تَقِفونَ في طَريقِنا. ما أَدْراني الآنَ أَنَّكُمْ لَمْ تَتَسَبَّبوا بِجَرْحِ جِيادي؟ أَعْطوهُ هٰذِهِ!» وَرَمى إِلى الطَّريقِ بِقِطْعَةِ نُقودٍ ذَهَبِيَّةٍ.

ما إِنِ انْطَلَقَتِ العَرَبَةُ حَتّى وَقَعَ فيها شَيْءٌ مُحْدِثًا رَنينًا. كانَ ذٰلِكَ قِطْعَةَ النُّقودِ.

صَرَخَ المَرْكيزُ في غَضَبٍ قائلًا: «مَنْ رَمى ذٰلِكَ؟»

في تِلْكَ اللَّيْلَةِ وُجِدَ المَرْكيزُ مَقْتولًا في سَريرِهِ بِطَعَناتِ خِنْجَرٍ. ووُجِدَ مَعَ الخِنْجَرِ كَلِمَةٌ تَقولُ:

«اِحْمِلوهُ إِلى قَبْرِهِ سَريعًا. هَدِيَّةٌ مِنْ – جاك.»

وَ«جاك» كَلِمَةُ السِّرِّ الَّتي كانَ الفُقَراءُ يَسْتَعْمِلونَها فيما بَيْنَهُمْ.



حينَ سَمِعَ شارْل بِمَصْرَعِ عَمِّهِ كانَ يَسْتَعِدُّ لِعَقْدِ قِرانِهِ على لوسي. وَهٰكَذا آلَ إِلَيْهِ لَقَبُ مَرْكيز أَفْريموند، مَعَ أَنَّهُ كانَ يَكْرَهُ عَمَّهُ سِرًّا لِقَساوَتِهِ وَسوءِ مُعامَلَتِهِ لِلفَلّاحينَ الَّذينَ كانَ هُوَ يَتَعاطَفُ مَعَهُمْ. وَقَدْ أَرْسَلَ إِلى وَكيلِ أَعْمالِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَلّا يَتَقاضى أَجْرًا مِنَ الفَلّاحينَ. وَلَمْ يُطْلِعْ غَيْرَ الدُّكْتورِ مانِت عَلى لَقَبِهِ الجَديدِ، وَظَلَّ يُعْرَفُ بَيْنَ النّاسِ بِاسْمِ شارْل دارْني.

تَغَلَّبَ سِدْني كارْتُن عَلى غَيْرَتِهِ مِنْ شارْل، وَرَغِبَ في أَنْ يَكونَ صَديقًا مُخْلِصًا لِلأُسْرَةِ. وَقَدْ رَحَّبَ شارْل ولوسي بِصَداقَةِ سِدْني، لِأَنَّهُما كانا يَعْلَمانِ بِأَنَّهُ شَهْمٌ طَيِّبُ القَلْبِ.

أُصيبَ الدُّكْتورُ مانِت، بَعْدَ زَواجِ ابْنَتِهِ، بِنَوْبَةٍ قاسِيَةٍ مِنْ نَوْباتِ هَواجِسِهِ، فَعادَ إِلى عُلِّيَّتِهِ يُصْلِحُ الأَحْذِيَةَ. لٰكِنَّهُ تَغَلَّبَ تَدْريجًا عَلى مِحْنَتِهِ، وَعادَ يَعيشُ مَعَ ابْنَتِهِ وَأُسْرَتِها عيشَةً رَضِيَّةً. وَمَرَّتْ سَنَواتٌ عَلى هٰذِهِ الحَياةِ الهانِئَةِ، إِلى أَنْ حَدَثَ أَمْرٌ كانَ مُقَدَّرًا لَهُ أَنْ يُغَيِّرَ حَياتَهُمْ جَميعًا.



هُبوبُ العاصِفَةِ

زادَ الأَمْرَ سوءًا في فَرَنْسَة أَنَّ مَجاعَةً ضَرَبَتِ الرِّيفَ الفَرَنْسِيَّ الجَميلَ. فَقَدْ كانَ مَوْسِمُ القَمْحِ شَحيحًا ذٰلِكَ العام. وَباتَ الخُبْزُ نادِرًا، فَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ مِنَ الفُقَراءِ قادِرًا عَلى الحُصولِ عَلَيْهِ. وَتَحَوَّلوا إلى البَصَلِ والأَعْشابِ وَأَوْراقِ الشَّجَرِ يَطْبُخونَ خَليطًا عَجيبًا مِنْها وَيَأْكُلونَهُ. وَكانَ يَزيدُ في فَقْرِهِم الضَّرائِبُ الباهِظَةُ الَّتي يَدْفَعونَها لِلدَّوْلَةِ، وَرِجالِ الدِّين، وَصاحِبِ الأَرْضِ الَّتي يَعْمَلونَ فيها دونَ مُقابِلٍ. وَلَمْ تَكُنِ الحالُ في المُدُنِ أَفْضَلَ، فَلا أَشْغالَ وَلا مُبادَلاتٍ تِجارِيَّةٌ وَلا طَعامَ.

لَمْ يَكُنِ النُّبَلاءُ وَلا رِجالُ الدِّين يَدْفَعونَ ضَرائِبَ. وَكانَ عَلى كُلِّ مَنْ عَدا هٰؤُلاءِ مِنْ أَبْناءِ الشَّعْبِ أَنْ يَدْفَعَ الضَّرائِبَ لِلْقِيامِ بِحاجَةِ قُصورِ النُّبَلاءِ وَالثِّيابِ الفاخِرَةِ الَّتي يَلْبَسونَها وَمِئاتِ الخَدَمِ الَّذين يَخْدِمونَهُمْ. كانَ لا بُدَّ لِلثَّوْرَةِ أَنْ تَتَفَجَّرَ، عاجِلًا أَمْ آجِلًا. فَقَدْ كانَ الفُقَراءُ جائِعينَ ناقِمينَ، دونَ أَنْ يَفْعَلَ أَحَدٌ شَيْئًا لِلتَّخْفيفِ عَنْهُمْ. وَكانَ يَحِقُّ لِلنُّبَلاءِ أَنْ يَتَصَرَّفوا في حَياةِ الفُقَراءِ، وَحَياةِ أُولٰئِكَ الَّذينَ يُعارِضونَهُمْ، فَيَقْتُلوهُمْ أَوْ يَسْجُنوهُمْ مَدى الحَياةِ في الباسْتيلِ أَو سِواهُ مِنَ السُّجونِ.

كانَ هِياجُ الشَّعْبِ في أَزِقَّةِ باريس، بِفِعْلِ تِلْكَ المُمارَساتِ، قَدْ بَلَغَ ذُرْوَتَهُ. فَارْتَفَعَ هَديرٌ مُخيفٌ في شَوارِعِ

المَدينَةِ، وَماجَتْ غابَةٌ مِنَ الأَسْلِحَةِ الحادَّةِ، وَاهْتَزَّتْ في الهَواءِ. وَكانَ النّاسُ يَتَلَقَّفونَ ما يَقَعُ في أَيْديهِمْ مِنْ أَدَواتٍ قاطِعَةٍ: سَكاكينَ، قُضبانٍ حَديدِيَّةٍ، فُؤُوسٍ وَحَتّى حِجارَةِ الجُدْرانِ.

جاشَ الجُمْهورُ حَوْلَ حانوت دوفارْج، الَّذي كانَ مَرْكَزَ التَّحَرُّكِ، كَما يَجيشُ الإِعْصارُ. وَكانَ دوفارْج يُصْدِرُ أَوامِرَهُ إلى جاك الأَوَّلِ وَالثّاني وَالثّالِثِ. أَمّا السَّيِّدَة دوفارْج فَكانَتْ، هٰذِهِ المَرَّةَ، تَحمِلُ فَأْسًا بَدَلَ شُغْلِ الصّوفِ.



صاحَ دوفارْج بِصَوْتِهِ الأَجَشِّ القَوِيِّ: «أَيُّها المُواطِنونَ وَالأَصْدِقاءُ، نَحْنُ جاهِزونَ! إلى الباسْتيلِ!»

إنْدَفَعَ الجُمْهورُ الغاضِبُ بِهَديرٍ مُخيفٍ نَحْوَ السِّجْنِ البَغيضِ. لَقَدْ بَدأَ الهُجومُ. كانَ الدُّخانُ يَتَصاعَدُ وَالنّارُ تَسْتَعِرُ وَالأَجْراسُ تُقْرَعُ وَالطّبولُ تُضْرَبُ. كانَ قَدِ احْتَشَدَ الآنَ خَمْسَةٌ وَعِشْرونَ أَلْفَ جاك، جَميعُهُمْ قَذَفوا بِأَنْفُسِهِمْ إلى قَلْبِ الهُجومِ بِقِيادَةِ دوفارْج وزَوْجَتِهِ.



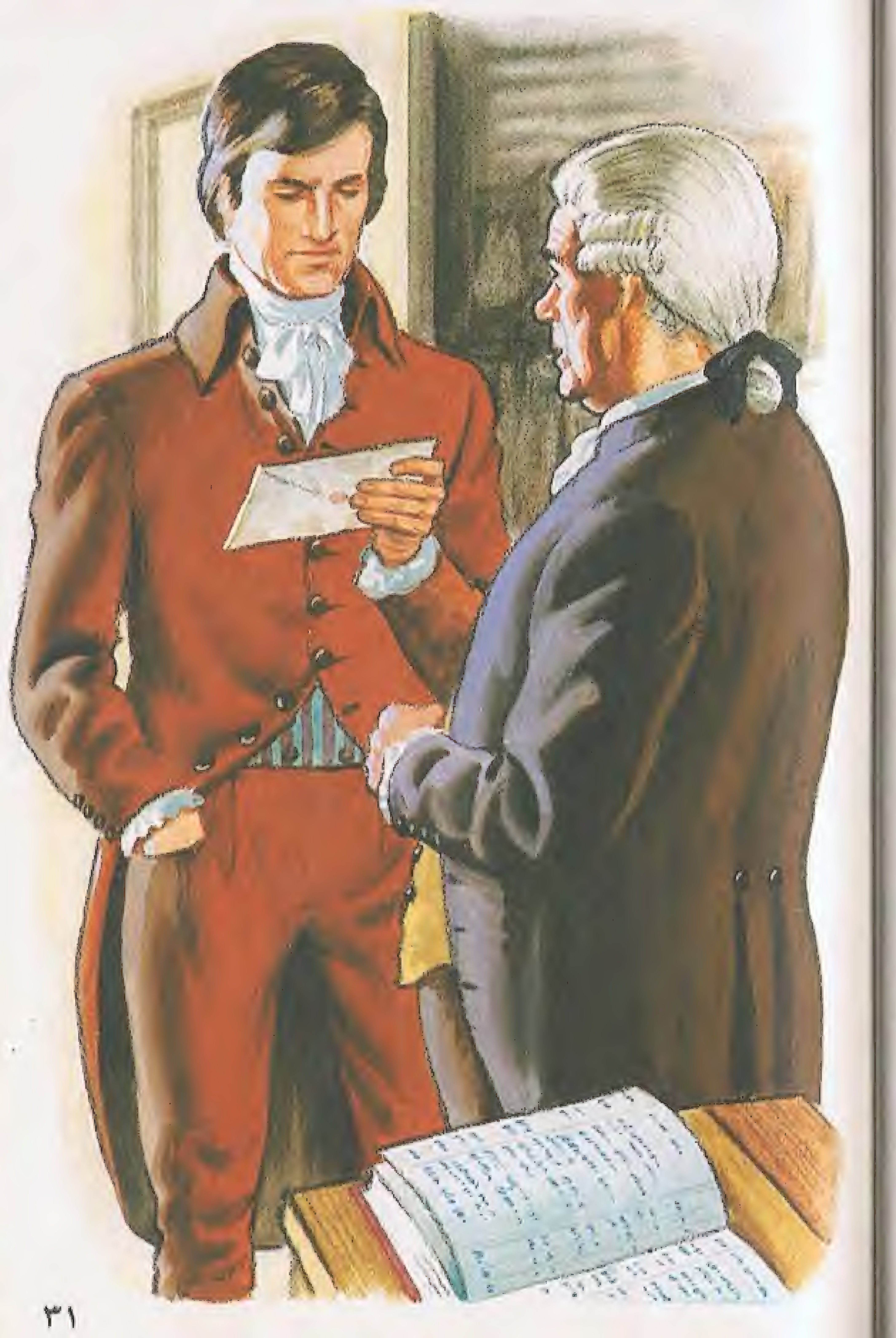
ظَلَّ بَحْرُ الانْتِقامِ الرَّهيبِ، طَوالَ خَمْسِ ساعاتٍ، يَضْرِبُ أَسْوارَ السِّجْنِ، إلى أَنِ ارْتَفَعَ عَلَمٌ أَبْيَضُ بِالاِسْتِسْلامِ. وَحَمَلَ المَدُّ البَشَرِيُّ المُهاجِمُ دوفارْج إلى الجِسْرِ المُتَحَرِّكِ ثُمَّ إلى داخِلِ السِّجْنِ، والأَصْواتُ تَهْدُرُ مُرَدِّدَةً:

«إلى الأَسْرى!»

«إلى السِّجِلّاتِ!»

«إلى الزِّنْزاناتِ السِّرِّيَّةِ!»

«إلى مُعَدّاتِ التَّعْذيبِ!»



أَمّا دوفارْج فكانَ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ واحِدٍ.

صاحَ في وَجْهِ أَحَدِ السَّجّانِينَ قائلًا: «أَرِني الطَّريقَ إلى البُرْجِ الشَّمالِيِّ، الزِّنْزانَةِ ١٠٥!» فَقادَهُ السَّجّانُ المَذْعورُ إلى الزِّنْزانَةِ الَّتي كانَ الدُّكْتورُ مانِت نَزيلَها. فَتَّشَ دوفارْج الزِّنْزانَةَ تَفْتيشًا دَقيقًا، فَعَثَرَ على أَوْراقٍ مُخَبَّأَةٍ خَلْفَ حَجَرٍ مِنْ حِجارَةِ المِدْخَنَةِ.

حَدَثَ ذٰلِكَ كُلُّهُ في ١٤ تَمُّوزَ (يُولْيه)، عامَ ١٧٨٩.

❀ ❀ ❀

أَقْلَقَتِ الأَحْداثُ السَّيِّدَ لوري كَثيرًا. وَقَدْ عادَ إلى لَنْدَن في العامِ ١٧٩٢ جالِبًا مَعَهُ رِسالَةً مِنْ باريس مُوَجَّهَةً إلى المَرْكيز أفْرِيمونْد. فَأَرى شارْل دارْني الرِّسالَةَ عَلَّهُ يَعْرِفُ صاحِبَها.

قالَ شارْل: «أَنا أُوصِلُ الرِّسالَةَ.» دونَ أَنْ يَكْشِفَ حَقيقَةَ شَخْصِيَّتِهِ. وَعِنْدَما خَلا بِنَفْسِهِ فَتَحَ الرِّسالَةَ وَقَرأَها، ثُمَّ صاحَ: «عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إلى فَرَنْسَة حالًا!»

كانَتِ الرِّسالَةُ مِنْ وَكيلِ أَعْمالِهِ جابيل، الَّذي أُدْخِلَ السِّجْنَ، فَأَرْسَلَ إلى شارْل يَسْأَلُهُ العَوْنَ.

لَمْ يَكُنْ في وُسْعِ شارْل أَنْ يَخْذُلَ وَكيلَ أَعْمالِهِ، فَارْتَحَلَ، في تِلْكَ اللَّيْلَةِ نَفْسِها، إلى فَرَنْسَة.

وَصَلَ شارْل فَرَنْسَة فَعَرَفَ أَنَّ الشَّعْبَ تَوَلَّى السُّلْطَةَ وَزَجَّ بالمَلِكِ في السِّجْنِ. لَمْ يَكُنْ بِإمْكانِهِ التَّجَوُّلُ مِنْ غَيْرِ تَصْريحٍ يُؤَكِّدُ أَنَّهُ مُواطِنٌ صالِحٌ. فَأَوْقَفَهُ حَرَسٌ جُفاةٌ يَلْبَسونَ طاقِيّاتٍ حَمْراءَ وَاقْتادوهُ إلى باريس. وَهُناكَ اسْتَوْقَفَتْهُ الجُموعُ وَصَرَخَتْ في وَجْهِهِ، وَكُلِّفَ المُواطِنُ دوفارْج تَوَلِّي أَمْرِهِ.

سَأَلَ دوفارْج عَنْ أَوْراقِ السَّجينِ. وَحينَ رَآها عَرَفَ شَخْصِيَّةَ شارْل الحَقيقِيَّةَ. فَأَرْسَلَهُ إلى ضابِطٍ آخَرَ. وَهُناكَ أُخْبِرَ أَنْ لا حُقوقَ لَهُ بِاعْتِبارِهِ مِنَ النُّبَلاءِ، وَأَنَّهُ سَيُسْجَنُ في زِنْزانَةٍ مُنْفَرِدَةٍ.

وَكانَ دوفارْج قَدْ سَأَلَهُ إنْ كانَ قَدْ تَزَوَّجَ فِعْلًا ابْنَةَ الدُّكْتور مانِت. فَرَدَّ شارْل بِالإيجابِ. عِنْدَئِذٍ قالَ دوفارْج:

«وَهَلْ أَنْتَ مَجْنونٌ لِتَعودَ إلى هُنا وَتُعَرِّضَ نَفْسَكَ لِخَطَرِ المَوْتِ تَحْتَ المِقْصَلَةِ؟»

أَخْبَرَهُ شارْل بِأَنَّهُ عادَ لِيُساعِدَ وَكيلَ أَعْمالِهِ، وَرَجاهُ أَنْ يَحْمِلَ رِسالَةً مِنْهُ إلى مَكْتَبِ السَّيِّدِ لوري في باريس. لكِنَّ دوفارْج رَدَّ بِعُبوسٍ قائِلًا:

«لَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ هٰذا القَبيلِ. إنَّ واجِبي هُوَ تُجاهَ بَلَدي.»

كانَ سِجْنُ لافورْس كَئيبًا، مُعْتِمًا وَسِخًا، تَفوحُ مِنْهُ رَوائِحُ كَريهَةٌ. مَرَّ شارْل عَبْرَ غُرْفَةٍ طَويلَةٍ مُقَوَّسَةِ السَّقْفِ تَعِجُّ بِالسُّجَناءِ



مِنَ الجِنْسَيْنِ. وَكانَ هٰؤُلاءِ مِنَ النُّبَلاءِ الَّذينَ حافَظوا في السِّجْنِ عَلى تَصَرُّفِهِمِ اللّائِقِ، وَكِبْرِيائِهِمْ، وَحَتّى عَلى ثِيابِهِم الَّتي كانَتْ ذاتَ يَوْمٍ ثِيابًا فاخِرَةً. قالَ شارْل في نَفْسِهِ حينَ رَآهُمْ: «ما أَشْبَهَهُم بِالأَشْباحِ! لا شَكَّ أَنَّهُمْ مَيِّتونَ!»

أُودِعَ في زِنْزانَةٍ مُنْفَرِدَةٍ وَمُنِعَ عَنْهُ ما يَكْتُبُ بِهِ. فَعَلِمَ، عِنْدَئِذٍ، أَنْ لا رَجاءَ في عَدالَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ، وَأَنَّ المَوْتَ آتٍ لا مَحالَةَ.





في السّاحَةِ الَّتي يُشْرِفُ عَلَيْها مَكْتَبُ السَّيِّد لوري في باريس ، كانَتْ تُسْمَعُ أَصْواتٌ مُرْعِبَةٌ صادِرَةٌ عَنْ شَحْذِ السَّكاكينِ وَالفُؤوسِ .

دَبَّ الرُّعْبُ في قَلْبِ السَّيِّدِ لوري وَقالَ : «سَيَقْتُلونَ السُّجَناءَ !»

فَجْأَةً ، دَخَلَ الدُّكْتورُ مانِت ولوسي وَمَعَهُما بِنْتٌ صَغيرَةٌ .

«ماذا جَرى؟ ما الَّذي جاءَ بِكُمْ إلى باريس ؟»

صاحَتْ لوسي : «زَوْجي !»

وَقالَ الدُّكْتورُ مانِت : «لَقَدْ كُنْتُ نَزيلَ الباسْتيلِ ، فَلَنْ يَتَعَرَّضَ لي أَحَدٌ في باريس . أَتَيْتُ أُخَلِّصُ شارْل .»

ثُمَّ نَزَلَ إلى السّاحَةِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ الجُمْهورُ المُتَعَطِّشُ لِلدِّماءِ بِالهُتافِ . فَدَعاهُم إلى إنْقاذِ شارْل دارْني . حَمَلَهُ الجُمْهورُ بِحَماسَةٍ وَمَشى ، بَيْنَما بَقِيَتْ لوسي وَطِفْلَتُها وَالسَّيِّدُ لوري في انْتِظارِ عَوْدَتِهِ .

عادَ دوفارْج في الصَّباحِ وَمَعَهُ رِسالَةٌ مِنَ الدُّكْتور مانِت . وفيها : «شارْل بِخَيْرٍ . لٰكِنِّي لا أَسْتَطيعُ الآنَ أَنْ أَتْرُكَ هٰذا المَكانَ .» وَاصْطَحَبَ دوفارْج مَعَهُ زَوْجَتَهُ ، فَأَقْبَلَت عَلَيْها لوسي وَقَبَّلَتْ يَدَها البارِدَةَ الثَّقيلَةَ امْتِنانًا .

سَأَلَتِ السَّيِّدَةُ دوفارْج ، وَهْيَ تُشيرُ إلى الطِّفْلَةِ بِصِنّارَةِ الحِياكَةِ الَّتي بَدَتْ كَأَنَّها إصْبَعُ القَدَرِ : «أَهٰذِهِ ابْنَتُهُ ؟»

تَوَسَّلَتْ إِلَيْها لوسي قائِلَةً : «ساعِديني ، أَرْجوكِ ! اِعْتَبِريني أُخْتًا لَكِ .»

«لَقَدْ رَأَيْنا أَخَواتِنا يَشْقَيْنَ طَوالَ حَياتِهِنَّ . فَلَنْ يَضيرَنا أَنْ تَشْقى أُخْتٌ أُخْرى .» ثُمَّ خَرَجَتْ ، وَهْيَ لا تَزالُ تَحوكُ بِصوفِها .

أَحَسَّتْ لوسي بِاضْطِرابٍ شَديدٍ ، وَقالَتْ : «هٰذِهِ المَرْأَةُ المُخيفَةُ أَدْخَلَتِ اليَأْسَ إلى قَلْبي .»

صارَتْ لوسي تَأْخُذُ ابْنَتَها وَتَذْهَبُ يَوْمِيًّا إلى السَّاحَةِ المُجاوِرَةِ لِلسِّجْنِ فَتَمْشي هُناكَ ، وَتَنْظُرُ إلى شُبّاكِ زِنْزانَةِ زَوْجِها في الطّابِقِ العُلْوِيِّ . وَكانَتِ السَّيِّدَةُ دوفارْج تُراقِبُها ، وَقَدْ عَقَدَتِ العَزْمَ عَلى أَلّا تَدَعَ أَحَدًا مِنْ أَفْرادِ تِلْكَ الأُسْرَةِ يَنْجو مِنَ المِقْصَلَةِ .

كانَ النُّبَلاءُ يُساقونَ إلى المِقْصَلَةِ في عَرَباتٍ . تَتَوَقَّفُ العَرَبَةُ أَمامَ سِقالَةٍ عالِيَةٍ ، ثُمَّ يُؤْخَذُ الواحِدُ مِنْهُمْ فَيَجْثو عَلى رُكْبَتَيْهِ ، وَيُثَبَّتُ رَأْسُهُ إلى مِنَصَّةٍ . ثُمَّ يُسْقَطُ نَصْلٌ قاطِعٌ ثَقيلٌ مُتَّصِلٌ بِبَكَرَةٍ ، فَيَنْدَفِعُ مُتَسارِعًا في سُقوطِهِ إلى عُنُقِ الضَّحِيَّةِ ، فَيَنْفَصِلُ الرَّأْسُ عَنِ الجَسَدِ وَيَقَعُ في سَلَّةٍ . وَكانَتِ السَّيِّدَةُ دوفارْج وَالنِّساءُ الأُخْرَياتُ يَعْدُدْنَ الرُّؤُوسَ الواقِعَةَ ، دونَ أَنْ يَتَوَقَّفْنَ عَنْ حِياكَةِ الصّوفِ ، وَيُرَدِّدْنَ : «المِقْصَلَةُ خَيْرُ دَواءٍ لِلصُّداعِ .»

أخيرًا، مَثَلَ شارْل أمامَ مَحْكَمَةِ الشَّعْبِ. وَقَدْ شَهِدَ في صالِحِهِ كُلٌّ مِنَ الدُّكْتور مانِت وَالسَّيِّدِ لوري ووَكيلِ أَعْمالِهِ جابيل. فَحَكَمَتِ المَحْكَمَةُ بِبَراءَتِهِ وَأُطْلِقَ سَراحُهُ، وَحَمَلَتْهُ الجَماهيرُ المُتَحَمِّسَةُ إلى حَيْثُ يُقيم.

أَحَسَّ الدُّكْتورُ مانِت بِسَعادَةٍ غامِرَةٍ، وَقالَ في نَفْسِهِ: «لَقَدْ تَمَكَّنْتُ مِنْ إنْقاذِهِ.»

غَيْرَ أَنَّ سَعادَتَهُمْ لَمْ تَطُلْ. فَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، سُمِعَ قَرْعٌ عَنيفٌ عَلى البابِ، وَدَخَلَ الغُرْفَةَ أَرْبَعَةُ رِجالٍ جُفاةٍ يَلْبَسونَ طاقِيّاتٍ حَمْراءَ، وَيَحْمِلونَ مُسَدَّساتٍ وَسُيوفًا.

«نُريدُ المُواطِنَ أَڤريمونْد، المَعْروفَ بِدارْني.»

«مَنْ يُريدُهُ؟»

«أَعْرِفُكَ يا أَڤريمونْد. رَأَيْتُكَ اليَوْمَ تَمْثُلُ أَمامَ المَحْكَمَةِ. سَتَعودُ إلى سِجْنِ الشَّعْبِ مَرَّةً أُخْرى.»

«لِماذا؟ ما الَّذي حَدَثَ؟»

«أَنْتَ مُتَّهَمٌ. اِتَّهَمَكَ المُواطِنُ دوفارْج وَالمُواطِنَةُ دوفارْج وَرَجُلٌ آخَرُ.»

«أَيُّ رَجُلٍ؟»

«غَدًا تَعْلَمُ. لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُجاوِبَكَ.»

وَاقْتيدَ شارْل إلى السِّجْنِ مَرَّةً أُخْرى، وَلٰكِنْ هٰذِهِ المَرَّةَ إلى سِجْنِ كُنْسييرجري.



كانَ جري كْرَنْشر ، خادِمُ السَّيِّدِ لوري ، في مُهِمَّةٍ أَرْسَلَهُ بِها سَيِّدُهُ ، أَثْناءَ وُقوعِ تِلْكَ الأَحْداثِ. فَجْأَةً ، رأَى في الطَّريقِ وَجْهًا يَعْرِفُهُ. ناداهُ وَقالَ : «أَنْتَ أَيُّها الرَّجُلُ! أَنا أَعْرِفُكَ! أَنْتَ الشّاهِدُ الكاذِبُ في مَحْكَمَةِ أولْد بيلي – ما كانَ اسْمُكَ؟»

وَسُمِعَ صَوْتٌ آخَرُ يَقولُ : «بارْساد.» كانَ المُتَكَلِّمُ سِدْني كارْتُن. ثُمَّ تابَعَ قَوْلَهُ :



«لَقَدْ رَأَيْتُكَ يا سَيِّدُ بارْساد تَخْرُجُ مِنْ سِجْنِ كُنْسييرجري مُنْذُ ساعَةٍ أَوْ نَحْوِها. إنَّ لَكَ وَجْهًا مُمَيَّزًا. تَبِعْتُكَ إلى حانوتِ دوفارْج ، وَفَهِمْتُ ، مِمّا تَناهى إِلَيَّ مِنْ حَديثٍ ، طَبيعَةَ عَمَلِكَ. أَتَأْذَنُ لي بِدَقائِقَ مِنْ وَقْتِكَ نَذْهَبُ فيها إلى مَكْتَبِ السَّيِّد لوري في المَصْرِفِ؟»

شَحَبَ وَجْهُ الجاسوسِ ، وَقالَ ، وَهْوَ يُحاوِلُ أَنْ يُخْفِيَ خَوْفَهُ : «أَتُهَدِّدُني؟»

كانَ بارْساد سَجّانًا في السِّجْنِ الَّذي احْتُجِزَ فيه شارْل. وَخَطَرَتْ لِكارْتُن خُطَّةٌ يَسْتَفيدُ فيها مِنْهُ. فَقَدْ كانَ هُوَ وَجري يَعْرِفان عَنْ ماضي بارْساد أَشْياءَ تَدينُهُ أَمامَ المَحْكَمَةِ. فَلَمْ يَكُنْ أَمامَ الجاسوسِ إلّا المُوافَقَةُ عَلى ما طُلِبَ مِنْهُ.

وَكانَتْ خُطْوَةُ كارْتُن التّالِيَةُ أَنَّهُ أَعْلَمَ السَّيِّدَ لوري بِنَبَإِ إلْقاءِ القَبْضِ مُجَدَّدًا عَلى شارْل ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَعْتَنِيَ بِأَمْرِ لوسي. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُحاوِلْ هُوَ نَفْسُهُ أَنْ يَراها.

بَلْ إِنَّهُ راحَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ يَقْطَعُ شَوارِعَ باريس بَحْثًا عَنْ بائِعِ أَدْوِيَةٍ. أَخيرًا وَجَدَ واحِدًا ، فَاشْتَرى مِنْهُ مُخَدِّرًا ثَقيلًا.

قالَ في نَفْسِهِ وَهْوَ يَنْظُرُ إلى القَمَرِ : «ما عادَ أَمامي شَيْءٌ أَعْمَلُهُ اللَّيْلَةَ ، فَإلى غَدٍ.»



في الصَّباحِ ، تَوَجَّهَ كارْتُن إلى المَحْكَمَةِ . وَهُناكَ سَمِعَ اسْمَ الشَّخْصِ الثّالِثِ الَّذي وَجَّهَ الاتِّهامَ إلى شارْل . وَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ الدُّكْتورِ مانِت . الدُّكْتورُ مانِت نَفْسُهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الأَمْرِ . فإنَّ دوفارْج قَدَّمَ الاتِّهامَ بِاسْمِهِ مُبْرِزًا الأَوْراقَ الَّتي وَجَدَها في زِنْزانَةِ الطَّبيبِ في سِجْنِ الباسْتيلِ . وَالأَوْراقُ تَكْشِفُ هُوِيَّةَ الَّذين رَمَوْهُ في السِّجْنِ . وَلَمْ يَكُنِ الدُّكْتورُ مانِت قادِرًا عَلى إنْكارِ الأَوْراقِ ، فإنَّها بِخَطِّ يَدِهِ .

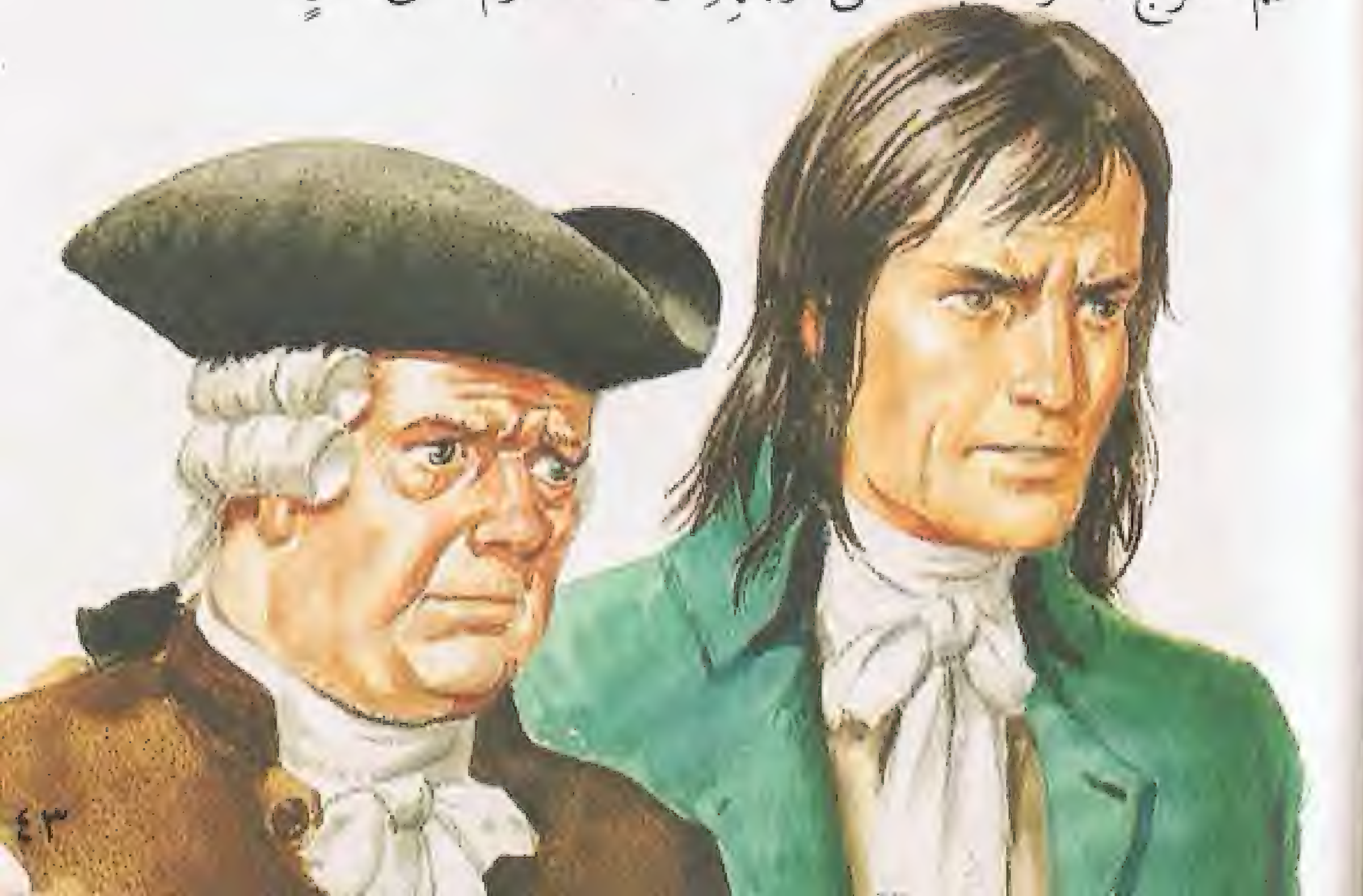
كانَ الأَخَوانِ أَفْريموند ، والِدُ شارْل وَعَمُّهُ ، مَسْؤُولَيْنِ عَنْ رَمْيِ الدُّكْتورِ مانِت في السِّجْنِ . فَقَدْ تَسَبَّبا في مَقْتَلِ فَتاةٍ فَلّاحَةٍ بَريئَةٍ وَمَقْتَلِ أَخيها الَّذي حاوَلَ الدِّفاعَ عَنْها . وَاتَّفَقَ أَنَّ الطَّبيبَ

شاهَدَ ما حَدَثَ ، فَأَرْسَلَهُ الأَخَوانِ أَفْريموند إلى الباسْتيلِ لِيَضْمَنا سُكوتَهُ . وَلَمّا كانَ شارْل هُوَ الفَرْدَ الوَحيدَ الَّذي لا يَزالُ عَلى قَيْدِ الحَياةِ مِنْ هٰذِهِ الأُسْرَةِ ، فَقَدْ كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَ ثَمَنَ جَريمَةِ أُسْرَتِهِ مِنْ حَياتِهِ ، رُغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ تِلْكَ الجَريمَةِ ، وَأَنَّهُ حينَ حَدَثَتْ كانَ لا يَزالُ طِفْلًا .

أَخيرًا ، أَدْرَكَ شارْل لِمَ أَصابَتِ الدُّكْتورَ مانِت حالَةٌ مِنَ الاكْتِئابِ الشَّديدِ عِنْدَ زَواجِ ابْنَتِهِ . فإنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ كانَ أَخْبَرَهُ بانْتِمائِهِ إلى أُسْرَةِ أَفْريموند . كَذلِكَ فَهِمَ سَبَبَ الكَراهِيَةِ الَّتي تُكِنُّها لَهُ السَّيِّدَةُ دوفارْج ، فَالْفَتاةُ وَالصَّبِيُّ كانا أَخَوَيْها .

قالَ السَّيِّدُ لوري لِسِدْني : «لا أَمَلَ . سَيَقْتُلونَهُ .»

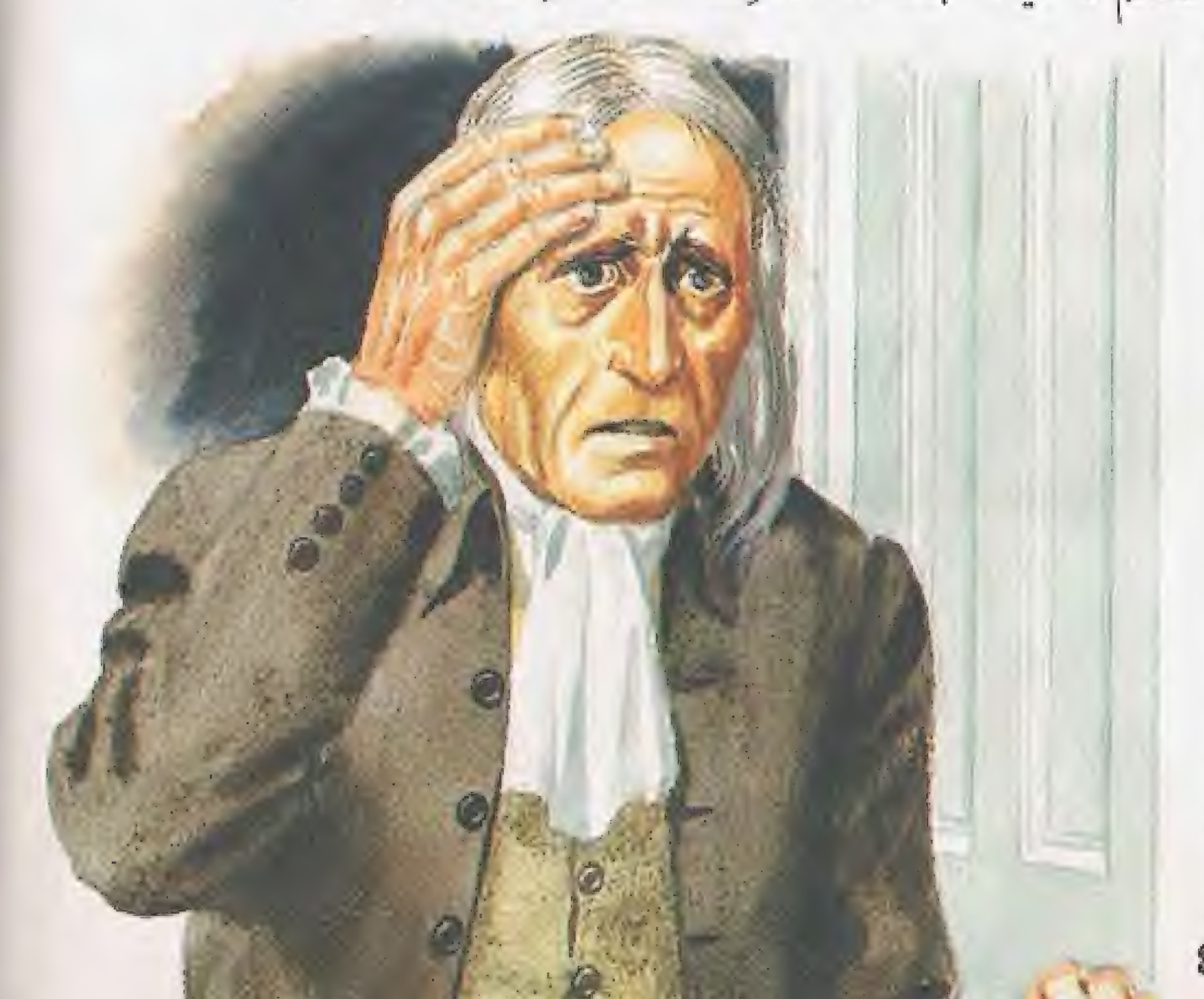
أَجابَ سِدْني : «نَعَمْ سَيَقْتُلونَهُ . لا أَمَلَ بِالمَعْنى الصَّحيحِ .» ثُمَّ خَرَجَ ، وَقَدْ بَدا عَلى وَجْهِهِ وَكَأَنَّهُ عَزَمَ عَلى أَمْرٍ .



عَلِمَ كارْتُن ، حينَ عادَ إلى مَكْتَبِ السَّيِّدِ لوري ، أَنَّهُمْ لا يَجِدونَ الدُّكْتورَ مانِت . ثُمَّ ، فَجْأَةً ، سَمِعوا وَقْعَ خُطُواتِهِ وَهُوَ يَنْزِلُ مِنْ غُرْفَةٍ عُلْوِيّةٍ . وَبَدا مِنْ هَيْئَتِهِ أَنَّ المِسْكينَ فَقَدَ ذاكِرَتَهُ مُجَدَّدًا وَعادَتْ إلَيْهِ هَواجِسُهُ :

«لا أَجِدُها ، أُريدُها الآنَ ! أَيْنَ هِيَ ؟» وَكانَ يَبْحَثُ عَنْ عُدّةِ الإسْكافِيِّ الَّتي كانَتِ الشَّيْءَ الوَحيدَ الَّذي أَبْعَدَ عَنْهُ الجُنونَ في السِّجْنِ الرَّهيبِ .

قالَ كارْتُن مُخاطِبًا السَّيِّدَ لوري : «لا يَقْدِرُ عَلى مُساعَدَتِنا الآنَ . الأَفْضَلُ أَخْذُهُ إلى لوسي . اِسْمَعْني وَافْعَلْ ما أَقولُهُ لَكَ . سَتَعْلَمُ ، فيما بَعْدُ ، أَنَّ لِما أَطْلُبُهُ مِنْكَ تَفْسيرًا مُقْنِعًا .»



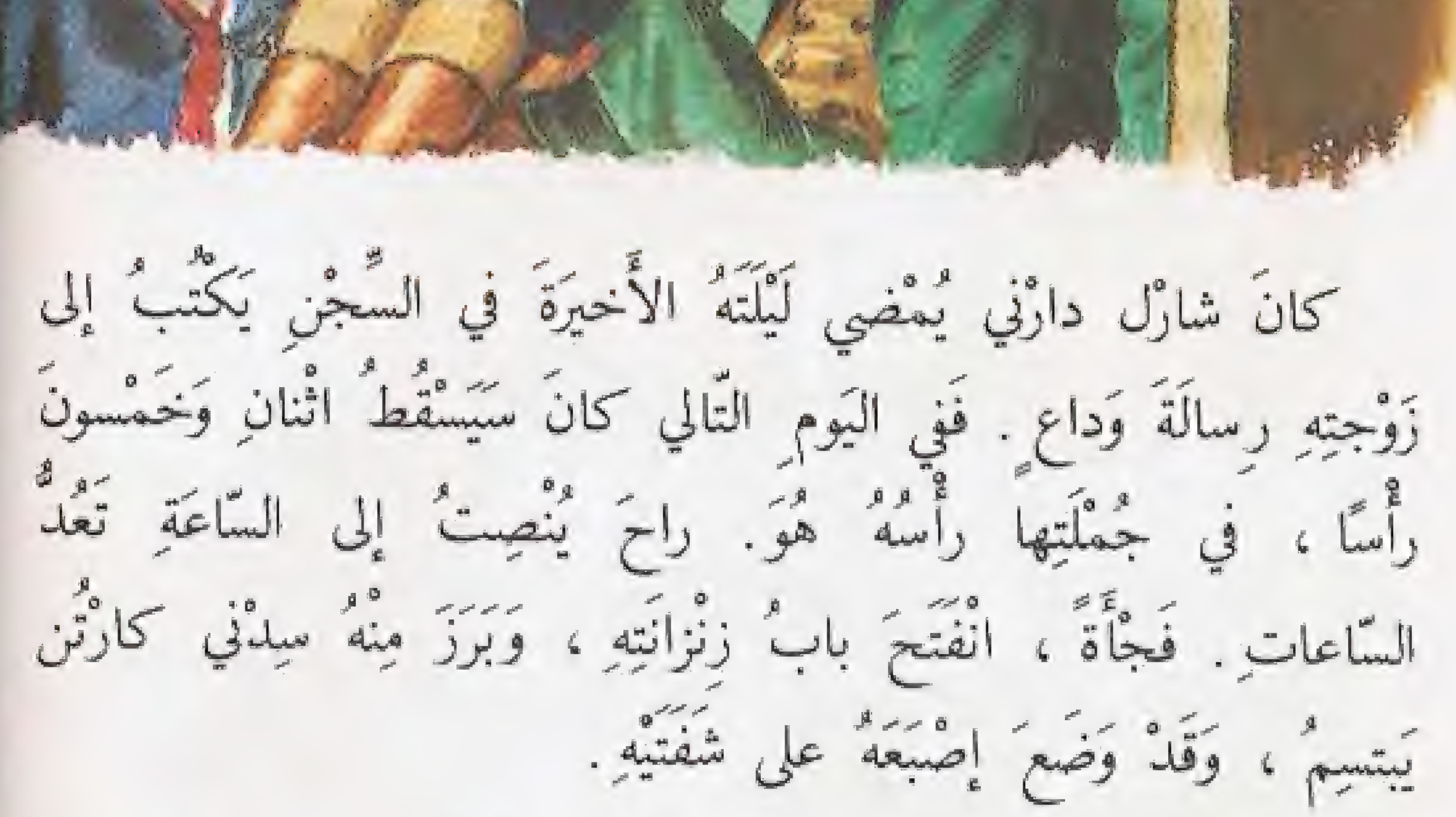


فَتَّشا عَنْ تَصْريحِ الدُّكْتورِ مانِت لِلخُروجِ مَعَ ابْنَتِهِ مِنْ باريس ، فَوَجَداهُ . وَكانَ لَدى سِدْني تَصْريحٌ هُوَ الآخَر ، فَأَعْطاهُ لِلسَّيِّدِ لوري طالِبًا مِنْهُ أَنْ يَحْتَفِظَ لَهُ بِهِ .

وَقالَ : «سَأَزورُ شارْل في سِجْنِهِ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَلا أُريدُ أَنْ أُخاطِرَ بِضَياعِ التَّصْريحِ مِنّي »

«أَتَظُن أَنَّ لوسي والطِّفْلَة في خَطَرٍ أَيضًا ؟»

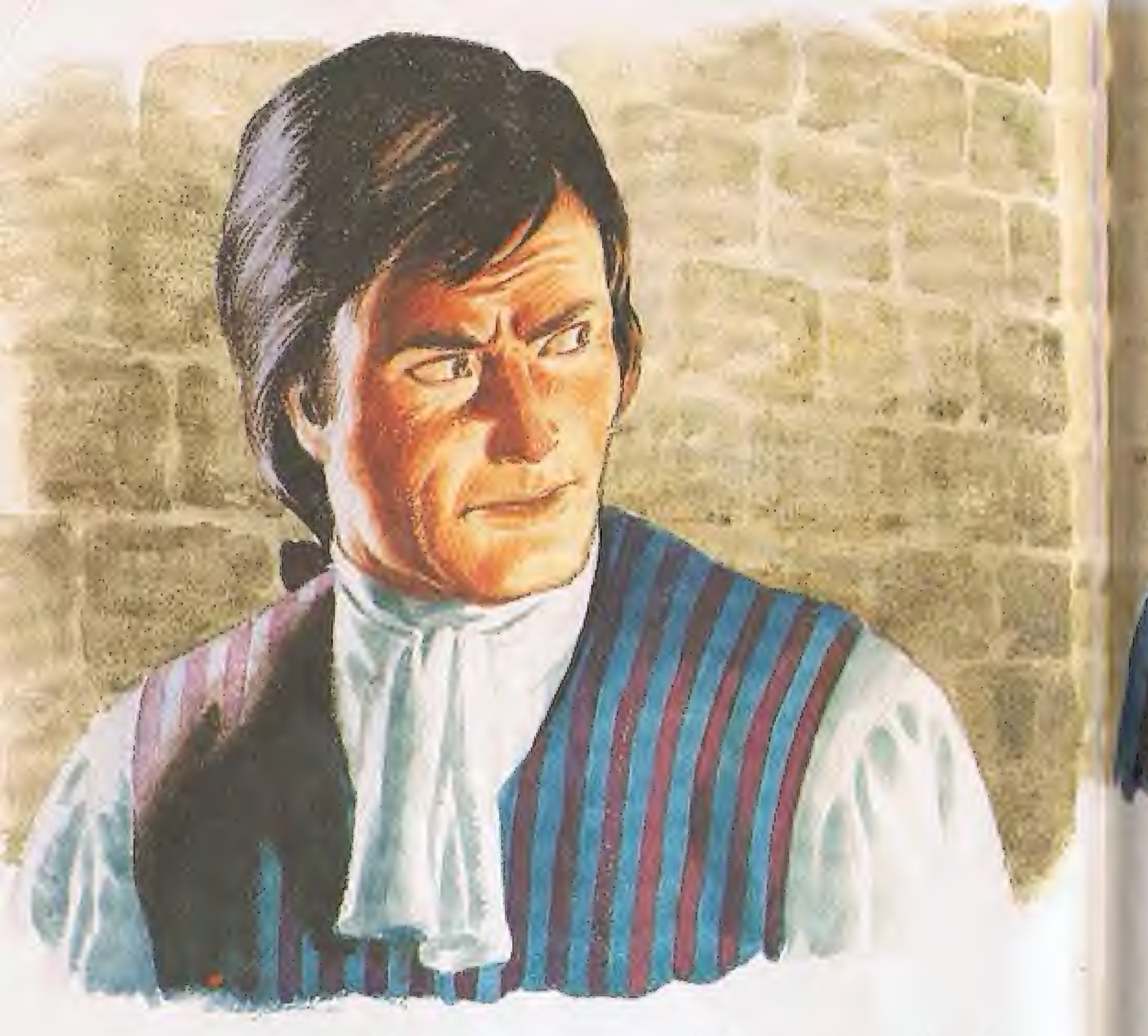
«نَعَم ، مِنَ السَّيِّدَةِ دوفارْج . عَلَيْكَ أَنْ تكونَ مُسْتَعِدًّا لِلسَّفَرِ في الثّانِيَةِ مِنْ صَباحِ الغَدِ . أَقْنِعْ لوسي أَنْ تَرْتَحِلَ هِيَ والطِّفْلَة والدُّكْتورُ مانِت مَعَكَ . أَخْبِرْها أَنَّكَ تُنَفِّذُ رَغْبَةَ شارْل . اِنْتَظِرْني ، وَانْطَلِقْ لَحْظَةَ وُصولي .»



كانَ شارْل دارْني يُمْضي لَيْلَتَهُ الأَخيرَةَ في السِّجْنِ يَكْتُبُ إلى زَوْجَتِهِ رِسالَةَ وَداعٍ. فَفي اليَومِ التّالي كانَ سَيَسْقُطُ اثْنانِ وَخَمْسونَ رأْسًا، في جُمْلَتِها رأْسُهُ هُوَ. راحَ يُنْصِتُ إلى السّاعَةِ تَعُدُّ السّاعاتِ. فَجْأَةً، انْفَتَحَ بابُ زِنْزانَتِهِ، وَبَرَزَ مِنْهُ سِدْني كارْتُن يَبتسِمُ، وَقَدْ وَضَعَ إصْبَعَهُ على شَفَتَيْهِ.

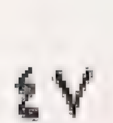
«أَتَيْتُكَ بِرِسالَةٍ مِنْ زَوْجَتِكَ. اِفْعَلْ ما أَقولُهُ لَكَ تَمامًا. لَيْسَ لَدَيَّ وَقْتٌ أُضيِّعُهُ.»

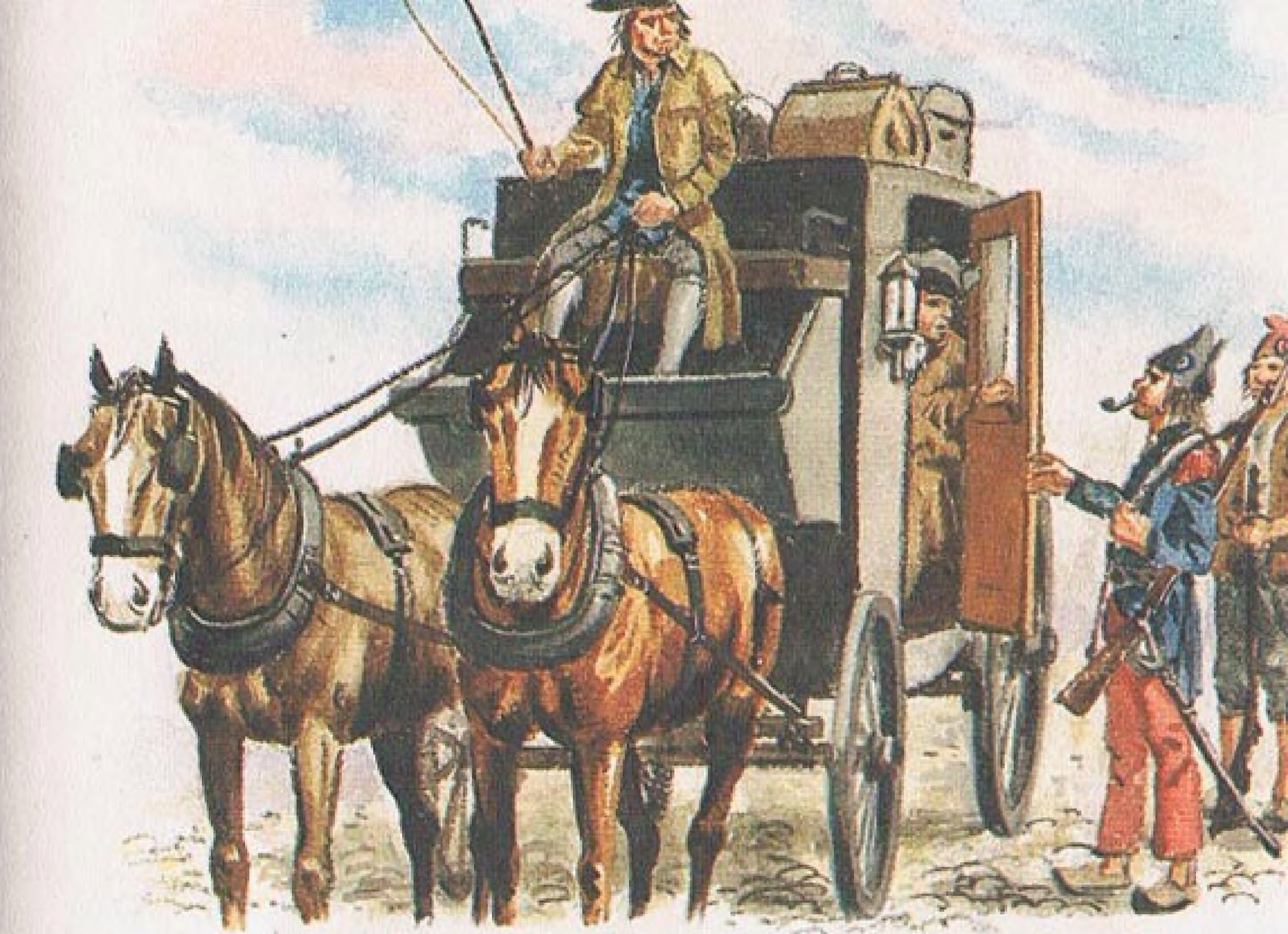
ثُمَّ تَبادَلَ مَعَهُ الثِّيابَ، وطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُقَلِّدَهُ في تَسْريحَةِ شَعْرِهِ. ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكْتُبَ إلى لوسي رِسالَةً مِنْ إمْلائِهِ هُوَ. تَقولُ



الرِّسالَةُ: «رُبَّما تَذْكُرِينَ كَلِماتٍ كُنْتُ قُلْتُها لَكِ. حينَ تَرَيْنَ هٰذِهِ الرِّسالَةَ سَتَفْهَمينَ مَعْنى تِلْكَ الكَلِماتِ. أَحْمَدُ رَبّي أَنَّ الوَقْتَ قَدْ حانَ لِأُبَرْهِنَ لَكِ أَنّي كُنْتُ صادِقًا في وَعْدي لَكِ.»

وَبَيْنَما كانَ شارْل مُنْهَمِكًا في الكِتابَةِ، اقْتَرَبَ مِنْهُ كارْتُن وَسَدَّ وَجْهَهُ بِمِنْديلٍ مُشْبَعٍ بِالمُخَدِّرِ الَّذي كانَ قَدِ اشْتَراهُ. سَقَطَ شارْل عَلى الأَرْضِ فاقِدًا الوَعْيَ. فَأَخْرَجَهُ بارْساد، الَّذي كانَ سَمَحَ لِكارْتُن بِالتَّسَلُّلِ إلى السِّجْنِ، وَبَقِيَ كارْتُن في الزِّنْزانَةِ.





تَفَحَّصَ الحَرَسُ عَلى أَبْوابِ باريس العَرَبَةَ الَّتي كانَ فيها السَّيِّدُ لوري ولوسي وَأُسْرَتُها ، وَالَّتي كانَ فيها أَيضًا رَجُلٌ نائمٌ يَحمِلُ أَوْراقَ سِدْني كارْتُن – وَكانَ في الحَقيقةِ شارْل. وَراحَ الحَرَسُ يَضْحَكونَ مِنْ ذٰلِكَ النّائِمِ الَّذي لَمْ يَعْرِفوا رَجُلًا أَثْقَلَ نَوْمًا مِنْهُ .

«أَنَذْهَبُ الآنَ؟»

«اِذْهَبوا. رِحْلَةٌ مُوَفَّقَةٌ !»

وَفي السِّجْنِ اقْتَرَبَتْ صَبِيَّةٌ مَحكومٌ عَلَيْها بالمَوْتِ مِنْ شارْل ، كَما كانَتْ تَظُنُّهُ ، وَرَجَتْهُ أَنْ يُمسِكَ بِيَدِها حينَ يَذْهَبان إلى المِقْصَلَةِ. فَمَدَّ سِدْني يَدَهُ وَأَمْسَكَ يَدَها .

مَرَّتْ عَرَباتُ المَوْتِ تُجَلْجِلُ في شَوارِعِ باريس جَلْجَلَةً جَوْفاءَ أَليمَةً .

«أَيُّهُمْ شارْل أَفْريموند؟»

«ذاكَ الَّذي يُمْسِكُ يَدَ الصَّبِيَّةِ .»

«لِيَسْقُطْ آلُ أَفْريموند ! إلى المِقْصَلَةِ أَيُّها النَّبيلُ الشِّرِّيرُ !»

دَقَّتِ السّاعَةُ ثَلاثًا. تِلْكَ هِيَ المِقْصَلَةُ. تَجَمَّعَ أَمامَها صُفوفٌ مِنَ النِّسْوَةِ يَحُكْنَ الصُّوفَ. أُفْرِغَتِ العَرَبَةُ الأُولى. وَبَدَأَ تَساقُطُ الرُّؤُوسِ، وَشَرَعَتِ النِّسْوَةُ يَعْدُدْنَها دونَ أَنْ يوقِفنَ حَبْكَ الصُّوفِ.

قالَ سِدْني: «أُنْظُري إلى وَجْهي يا صَغيرَتي. لا تَنْظُري إلى شَيْءٍ آخَرَ.»

«لَنْ أَخافَ إذا كانَتْ يَدُكَ في يَدي. لكِنْ هَلْ سَيُعَجِّلونَ؟»

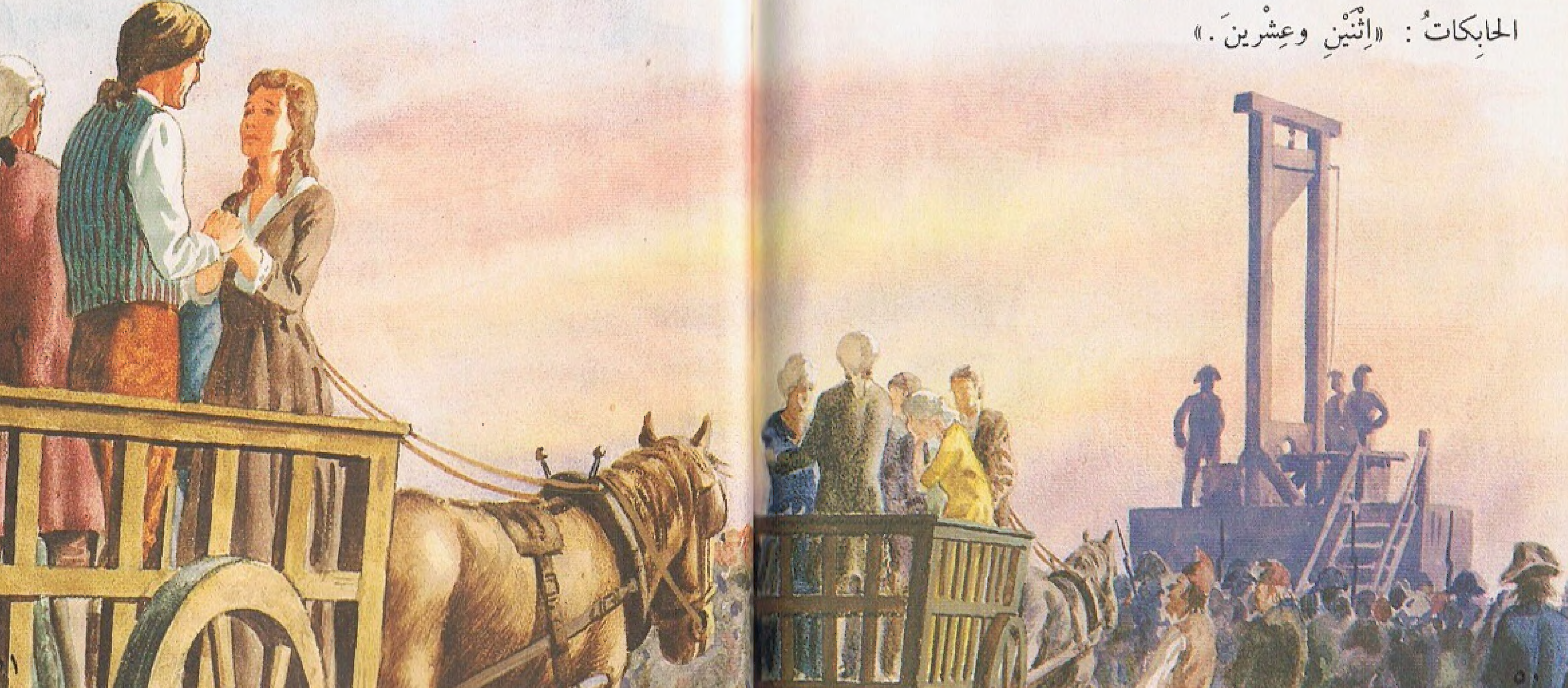
«سَيُعَجِّلونَ. لا تَخافي.»

سَبَقَتْهُ إلى المِقْصَلَةِ.. ثُمَّ لَمَعَ النَّصْلُ. وهَتَفَتِ النِّسْوَةُ الحابِكاتُ: «اِثْنَيْنِ وعِشْرينَ.»

مَلَأَتْ عَيْنَي سِدْني، وَهُوَ يَتَقَدَّمُ إلى المِقْصَلَةِ، خَيالاتٌ، فرأى لوسي وأَفْرادَ أُسْرَتِها يَنْطَلِقونَ إلى إنكِلْترة آمِنينَ. فَرَدَّدَ في أَعْماقِهِ: «ما أَفْعَلُهُ الآنَ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ ما فَعَلْتُ في حَياتي وَما أَشْعُرُ بِهِ مِنْ راحَةٍ وَسَلامٍ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ ما شَعَرْتُ بِهِ في حَياتي.»

كانَتْ هُناكَ هَمْهَماتٌ تَبْدو بَعيدَةً، وَوُجوهٌ تَبْدو كَأَنَّها في الحُلْم.. ثُمَّ انْطَفَأَ بَريقُ كُلِّ شَيْءٍ. ثَلاثٌ وَعِشْرونَ!

قيلَ، فيما بَعْدُ، إنَّ أَحَدًا لَمْ يَرَ عَلى المِقْصَلَةِ وَجْهًا كَوَجْهِهِ سَلامًا وَرِضًى.





تَسْعى مَكْتَبَة لُبْنان مِنْ خِلالِ هٰذِهِ السِّلْسِلَةِ إلى تَعْريفِ الفَتى العَرَبيِّ بِروائِعِ الأَدَبِ العالَمِيِّ ، وإِعْدادِهِ لِلدُّخولِ ، فيما بَعْدُ ، في عالَمِ القِصَصِ الخالِدَةِ مِنْ بابِهِ الواسِعِ . إِنَّنا نَعْتَقِدُ أَنَّ مِنْ حَقِّ أَبْنائِنا أَنْ يُكَوِّنوا فِكْرَةً صَحيحَةً شامِلَةً عَنْ إِنْتاجِ القِصَصِ الذّائِعَةِ الصِّيتِ في مُخْتَلِفِ أَصْقاعِ الأَرْضِ.

عَلى أَنَّنا نَثِقُ أَنَّ هٰذِهِ القِصَصَ تَصْلُحُ ، بِالشَّكْلِ الَّذي نُقَدِّمُها فيهِ ، لِلْكِبارِ أَيْضًا. لِأَنَّنا حَرَصْنا عَلى أَلّا نَنْتَقِصَ مِنْ جَوْهَرِ الفِكْرَةِ الَّتي يَقومُ عَلَيْها العَمَلُ ومِنْ بناءِ الشَّخْصِيّاتِ كَما أَرادَها المُؤَلِّفونَ.

وحَرَصْنا عَلى المُحافَظَةِ عَلى عَناوينِ الكُتُبِ الأَصْلِيَّةِ وكَذٰلِكَ عَلى أَسْماءِ العَلَمِ والأَماكِنِ ، كَما وَرَدَتْ في الأَصْلِ ، رَغْبَةً في إِعْطاءِ صورَةٍ حَقيقِيَّةٍ عَنِ الجَوِّ العامِّ لِلْقِصَصِ ، مِنْ حَيْثُ المَكانُ والأَوْضاعُ الاجْتِماعِيَّةُ والأَحْداثُ التاريخِيَّةُ ، وخِدْمَةً لِلْهَدَفِ الَّذي نَسْعى إِلَيْهِ وهُوَ تَمْهيدُ الطَّريقِ لِلتَّعَرُّفِ إلى الأَدَبِ العالَمِيِّ. عَلى أَنَّنا تَجَنَّبْنا الخَوْضَ في تَفاصيلِ الأَسْماءِ الَّتي لا تَتَعَلَّقُ مُباشَرَةً بِصُلْبِ المَوْضوعِ ولا تُؤَثِّرُ عَلى سَيْرِ الأَحْداثِ . وذٰلِكَ لِكَيْ لا نُرْبِكَ القارِئَ العَرَبِيَّ بِأَسْماءٍ ثانَوِيَّةِ الأَهَمِّيَّةِ . غَريبَةِ اللَّفْظِ قَليلَةِ التَّواتُرِ.

وتَمْتازُ هٰذِهِ القِصَصُ كُلُّها بِأَنَّها شَديدَةُ التَّشْويقِ ، وتَقومُ في غالِبِها عَلى المُغامَراتِ المُثيرَةِ. وأَكْثَرُ هٰذِهِ القِصَصِ المُخْتارَةِ كُتِبَتْ أَصْلًا لِتُرْضِيَ جُمْهورَ الشَّبابِ ، وهِيَ مِنْ هٰذِهِ النّاحِيَةِ تُرْضي مَشاعِرَهُمْ ومَبادِئَهُمْ وحُبَّهُمْ لِلانْطِلاقِ واكْتِشافِ المَجْهولِ.

إِنَّ هٰذِهِ القِصَصَ جَميعَها ، وإِنْ تَكُنْ في غالِبِها تَقومُ عَلى حُبِّ المُغامَرَةِ ، تَتَناوَلُ أَصْدَقَ المَشاعِرِ الإِنْسانِيَّةِ ، وتُصَوِّرُ كِفاحَ الإِنْسانِ لِتَحْقيقِ مُثُلِهِ العُلْيا دونَ أَنْ يَعْبَأَ بِالتَّضْحِياتِ.

وزُوِّدَتْ كُتُبُ السِّلْسِلَةِ جَميعِها بِمُقَدِّماتٍ تُعَرِّفُ بِالمُؤَلِّفِ كَما زُوِّدَتْ بِرُسومٍ مُلَوَّنَةٍ رائِعَةٍ تُضْفي جَوًّا مِنَ السِّحْرِ عَلى أَحْداثِ القِصَصِ ، وتُصَوِّرُ الخَلْفِيّاتِ الاجْتِماعِيَّةَ والتاريخِيَّةَ أَصْدَقَ تَصْويرٍ.

طبع في انكلترا ١٩٨٢

